جامعة الجزائر

معهد اللغة و الأدب العربي

القصة الطفلية في سورية

بحث

أعدته الطالبة الانسة : إلهام ديبة

وتقدمت به لنيل شهادة الماجستير

باشراف

الدكتور زكريا صيام الأستاذ بجامعة الجزائر

عام 1987-1986

إلهام ديبة

((القصّة الطفليّة في سوريّة))

بحث مقدّم لنيل شهادة الدراسات العليا

(الماجستير)

معهد اللغة والأدب العربي - جامعة الجزائر

1987 -1986

الاهداء

الى

واحة أملي الخضراء

المتجذّرة في أعماقي

الى أمي

أهدي ...

براءة الطفولة... ودفء غدها

المتكوكب في ...

وجدان هذه الأمّة .

الهام ديبة

م٠ج

همسة

كثيرا ما يقف الانسان حائرا أمام العالم المضيء، فتتيبّس الكلمات على شفتيه ... وتضيق اللغة على سعتها ... وكيف لا ؟ وهو يحاول أن يعبّر عن كينونة الانسان المتمثّلة بالنفس الصافي الذى يوجّهه في طريقه الشائك عبر منعرجات هذا البحث .. !!

أليس من الصعب أن نجسّد ما نكنّه من احترام وتقدير لمعلمنا ومرشدنا الذى يدير دفّة هذا الزورق المبحر في العباب ...؟؟

أتوفّى كلمة الشكر حق الدكتور زكريّا صيام المشرف على بحثي هذا ؟ .

أظن أن الكلمات عاجزة عن الشكر... لأن الاشراف عمليّة وجدانيّة، جديرة بالاجلال والتقدير، فهي لا تقل أهميّة عن كتابة البحث نفسه...

ولذا وجدت نفسي مقصّرة كلّ التقصير عندما تختصر هذه المسافة الشاسعة في بضع كلمات .. !! فمعذرة أستاذي الجليل ...

انّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ...

الهام ديبة

كلمة عرفان وشكر

أوّل ما يتبادر الى ذهن الانسان وهو يلملم أوراقه المبعثرة ، فيرتبها .. أن يتذكر بعمق وعفويّة، تلك الفترة الخصبة والممتعة التي قضاها في رحاب الجامعة ، والتي أعطته الكثير ... الكثير ، وأهّلته بأن يكون انسانا مسلّحا بعلمه وثقافته في المستقبل.

وهل يعقل أن ينسى أجمل فترات حياته .. ؟؟ .

انّه لجميل حقّا أن يعترف الانسان بالجميل ، وهذا أضعف الايمان في رأيي ...

فالى الجامعة الجزائريّة بمشرفيها الأكارم، وأساتذتها الأفاضل .

أقدّم أحرّ شكري وامتناني ...

الهام ديبة

ملخّص البحث

الموقف صعب ... وهل هناك أصعب من أن نختار الانسان موضوعا يراهن فيه على زمنه الآتي ؟ . أليس من المحرج أن نحدد ملامح ما نختار في لحظة تفصل بين الخيط الأبيض والخيط الأسود ؟
لحظة تتزاحم فيها المواضيع ، وتتشابك أغصان العناوين .. ؟
حقا ليس من السهل أن نختار ، فالاختيار يحتاج الى الدقة وسعة الاطّلاع . وقيمة ما يقدّمه الباحث الى المجتمع من معلومات جديدة وأفكار هامة ، وتقييم واع يحصل على أجنحته ما كان ... وما يكون .. ، وما يجب أن يكون .

ولا أخفي انني كنت مترددة لدى اختيار موضوعي ... الذى ينضوى تحت عنوان : (القصّة الطفليّة في سوريّة) . فالموضوع بحر متلاطم الأمواج ، يحلو منه الزبد أحيانا فيغطّي ما ينفع الناس ... ولكنّه بالتأكيد سيأتي يوم لايثبت فيه الّا ماينفع الناس .
لقد حاولت جاهدة أن أكون موضوعيّة في العرض والتقييم ، ولا أدرى ما اذا كنت وفّقت أو أخفقت ...؟
ورأيت قبل أن أبحر في زورق هذا البحث أن أرسم صورة مصغّرة لما جاء فيه :
ففي التمهيد ألقي نظرة سريعة على الأدب الذى هو أبجديّة الزمن في كبرياء الحرف المضيء ... الواقف كالأشجار .. المتغلغل في رئة الأمّة ، وكيف ان الأدب الحق ذو موهبة تؤهّله أن يوظّف الثقافة توظيفا

أصيلا وفاعلا ، ويحقق دوره الاجتماعي والسياسي بعيدا عن الانفعال والمواربة والتصنّع . فالكتابة في حد ذاتها وجع دائب ، لأنها تشكّل مستقبليّة الأجيال ، وترسم ملامح وجه الأمّة عبر تاريخها الطويل ، وانه لمن الصعب جدا أن تتمركز الكتابة في موضوع شمولي يلج الأزمنة دون أن يعي الأديب معنى هذه الأزمنة .

كما نوّهت الى عمليّة انتقاء الرمز ، وكيف ان وعي الأديب في هذا الجانب يشكّل اضافة جديدة للحياة .

أمّا اختيار الموضوع فهو عمليّة تعطي وجهة نظر الأديب ، كما تعكس قدرته على ربط الظواهر التي تبدو متباعدة ، وايجاد العلاقات المنطقيّة بينها ، وتضيف الى جانب ذلك أصالة وعيه لحقائق العصر .

وخلصت الى القول بأن الأدب شكل من أشكال الوعي الانسانيّ الصادق الذي يتعامل مع حقائق الحياة ، وظواهرها الأصيلة ، ولا يمكن أن تكون ولادة الكلمة التي هي أساس تكوين الأديب ولادة قسريّة ، لأنها ولدت حرّة كما ولد الانسان حرا ...

وبعد ذلك قسّمت البحث الى بابين :

ـ الباب الأول : نشأة القصّة الطفليّة ، مراحل نموّها وتطوّرها ،

ـ الفصل الأول : القصّة الطفليّة في سوريّة ، ومقارنتها بمثيلاتها في الوطن العربي والعالم .

استعرضت فيه بايجاز كيف ان الكتّاب العرب اتجهوا بكتاباتهم اتجاها واقعيّا نتيجة تأثرهم بالظروف والتغيرات في وطننا

العربي ، رغم ان هذا الأدب قد ظهر على شكل تلقيني في معظمه ، ثم بدأ يتحلل من ذلك رويدا رويدا شأنه شأن الترجمة التي أخذت تتضاءل في السنوات الأخيرة .

وقد لفتُّ الانتباه الى ان كتّاب أدب الأطفال في وطننا العربي أمام تحد صعب يتمثّل في تطوير هذا الأدب ليسهم اسهاما حقيقيا في العمليّة التربويّة بكل أبعادها ، ومحتواها الثقافيّ والاجتماعيّ والسياسيّ . فالكتابة للأطفال من أخطر أنواع الكتابة لانها تتعلّق مباشرة بخلق أجيال الغد . ولا بدّ لنا والحالة هذه أن نُحيِّد الطفل العربيّ على الأقل من خلال الكتابة عن الواقع المأساويّ الذى يعيشه الوطن والمواطن في هذا الزمن . ولا يكون ذلك في رأيي إلا اذا طوّرنا عالمه الروحي لتتطوّر مقدرته على التخيّل والتصوّر ، وتتسع مداركه لاستيعاب الأشياء بطريقة مبسّطة وحيويّة دون اغراقه في بحار التربويّة أو الرمزية الا بمقدار ما يخدم نفسيّة الطفل . وانتهيت الى ان الآداب العالميّة عملت على غرس هذه الروح في نفسيّة الطفل ، واشباعها دون أن تثقلها أو تخلق نوعا من أنواع السأم أو الملل فيها . . . من خلال محورين رئيسيين فرضهما تباين الأنظمة السياسيّة : المحور الرأسمالي ، والمحور الاشتراكي .

فالأول أخذ بعين الاعتبار في معظم الأحيان ، حاجات الطفل المتعلّقة بنفسيته وحاسيته وطبيعته . إلا أن الأولويّات في نشر

أدب الأطفال تخضع الى حد كبير للناحية التجاريّة، فانتاج كتب ومجلات الأطفال يعتبر مصدرا هاما لدخل الناشرين الذين اكتشفوا ان أدب الأطفال يشكّل مادة جيدة للنشر.

وعرضت في هذا المحور أدب الأطفال في الدول الأوروبيّة: انكلترا، ألمانيا الاتحاديّة، الدانمارك، السويد، النرويج وفرنسا مرورا باسبانيا، والولايات المتحدة الأمريكيّة.

أمّا بالنسبة للمحور الاشتراكي فيختلف في منظوره تماما. لأن الكتاب أداة بناء شخصيّة المستقبل الاشتراكي، والذي هو بالضرورة الطفل، ولا ينسى أبدا حاجات تطوره. لذا تتبنى الدولة هذا الأدب تبنيا مطلقا.

وتطرقت بايجاز لأدب الأطفال في كوبا، الصين الشعبيّة، الاتحاد السوفييتي، ألمانيا الديموقراطيّة. ولم أنس أن أطل من نافذة على العالم الثالث، والمهمّة الصعبة التي يقابلها نظرا لتعدد اللغات المحليّة.

فغالبيّة كتب الأطفال في أفريقيا مثلا، والمكتوبة باللغات المحليّة، لا تفي بالمطلوب. لذا تعتمد هذه البلدان اعتمادا كبيرا على الترجمة والاقتباس.

وقد عرّجت على اليابان في نهاية المطاف. لأخرج بنتيجة هامة مفادها: ان أدب الأطفال وجد مكانه تحت الشمس، فقد أصبح ظاهرة عالميّة منفردة جعلت زيادة الانتاج خلال ثلاثين عاما تصبح (400 ٪).

وتحدّثت في هذا الفصل أيضا عن نشأة القصّة الطفليّة السورية

في ظل المدارس هادفة الى تهذيب الطفل وتعليمه، وذلك من خلال الأناشيد والمحاورات والقصائد الغنائية والتمثيليات ، وقد حمل هذا الأدب الطابع الوطني والقومي ، ولا سيما في الفترة التاريخية التي نشأ فيها : (أواسط الثلاثينات، والأربعينات، والخمسينات) والتي تعتبر فترة نهوض قومي ، أذكت روح الحماس والارتباط بالأمة .

وما يميز كل ما كتب للطفل في تلك المرحلة، الطابع التعليمي الصرف...

ولم أهمل الاشارة الى أشهر كتاب تلك الفترة، وألمحت الى ان القصة الطفلية في وطننا العربي بدأت بدايات متعثرة تغلب عليها الترجمة الحرفية، ثم أخذت تتخلى عن ذلك ، مكتفية بالتأثر، معتمدة على الواقع القطري خاصة ، والعربي عامة، تاركة النوافذ مفتوحة على العوالم الأخرى .

والحق يقال : ان دائرة أدب الأطفال لم تتطور في مخيلة كتاب تلك المرحلة. فملامح عالم الطفولة لم تتكون في مخيلتهم بالمعنى الحقيقي لهذه العبارة. وظلت القصة الطفلية في سورية محاولات لا تتسم بطابع الجدية والحيوية الا بعد نكسة حزيران 1967 فصدرت مجلتا : (أسامة 1969، ورافع 1970) للأطفال وحققتا قفزة نوعية في هذا المضمار. حين توجه بعض الشعراء وكتاب القصة وبعض المترجمين بانتاجهم للأطفال ، وقد تحققت هذه القفزة من خلال تنافسهم على ارضاء الطفل والدخول الى عالمه ، مما خلق نوعا من الابداع والتجديد فتطورت

في أذهان الكتّاب ملامح أدب الأطفال ، وأصبحوا يدركون أن له سماته الخاصّة ، والتي تزداد حدّة كلما قلّ سن القارئ، كما أدركوا أن عناصر نظريّة هذه الآداب تتلخص في الايقاع والخيال واللغة ، وفي المجتمع والواقع والتلقي ، ولا يمكن بعثرة هذه العناصر، أو تغريب بعضها ، ولا تحييد البعض الآخر . فالعلاقة قائمة بينها ، وهي على وجه التحديد كالعلاقة القائمة بين الانسان وظرفه التاريخي ...

كما أشرت الى المعضلة في أدب الأطفال وهي ثنائيّة الايقاع والمجتمع. فالدائرة التي يدور فيها أدب الأطفال ، لابدّ وأن يكون مركزها هذه الثنائيّة التي يجب أن تفهم في اطارها الصحيح ، لأن هذه العلاقة توفّر للقصّة الطفليّة فرصا واسعة للمحاكاة والمماثلة الاجتماعيّة. أمّا أهم ما ترتكز عليه القصّة الطفليّة فهو الفعل أو الدراما .. ويجب أن تكون الشخصيّة في أدب الأطفال هي التي تصنع مدارها الزمنيّ . فلا غرو ان قلت : ان أدب الأطفال قد اتجه الى البحث عن النجاة ، ومحاولة تفسير الواقع من خلال التزاوج بينه وبين الخيال . وهذا يعني ان الخياليّ ليس ما تكون فيه استعارة ورمز أو دلالة لواقع الحال ، بل تكون الاستعارة أو الرمز أو الدلالة في صلب المعنى الواقعيّ للعمل الأدبيّ ، ويكون الخياليّ هو ما يرى في عناصره أو يشير اليها كالحركات والأصوات والصفات والألوان . كما أن نجاح أدب الأطفال مرتبط بحل اشكاليّة ثنائيّة اللغة والتلقي . ويعني هذا ان الطفل دائما يريد أن يدرك مفاهيم العالم عبر

معالجة شاملة للقضايا الملحّة في حياته من خلال كل مرحلة تاريخيّة ، ومن هنا تبرز اللغة بروزا واضح المعالم لأنها السبيل لهذا الادراك ... ولا يكون استخدامها وظيفيا فحسب ، بل يجب أيضا أن تراعى متطلبات لغة الايصال في الفن أو الوسيط في الجهاز الثقافي .

وهي بالتالي مرهونة باعتبارات التلقي لدى جمهور الأطفال ، ولا بد أن تتحكّم اللغة بسلامة الانشاء وضمانة الايصال ، وأن تكون طريقة الكتابة بسيطة شيّقة .. مشرقة ، واللفظة معبّرة وموحيئة ، ناهيك عن وجوب سلامة اللغة . وهذا يضع الأديب أمام نقطتين جوهريتين : دلاليّة اللغة وما فيها من أشكال البلاغة والمجاز ، والتي يجب أن يحلّها الأديب بشكل لائق ومقبول عند الطفل ، والنقطة الثانية تعبيريّة اللغة وهي ما يضيفه الأديب الى فضاء النص بنيته اللغويّة من اسقاطات تراثيّة ومعاصرة .

ثمّ توجهت الى الموضوعات الصالحة لأدب الأطفال والتي تحتاج الى دراسات تربويّة تعنى بمعرفة ميول الأطفال ، وتتعرّف على دوافعهم واهتماماتهم وخبراتهم . ولذا نجد قصص الأطفال السوريّة متفاوتة في هذه النقطة . فهناك على سبيل المثال موضوعات عديدة تلائم الكبار ، وليس لها علاقة اطلاقا بالأطفال .

— وكان عنوان الباب الثاني : (دخول دنيا الطفولة من بوابة العصر) . وضمّ الفصل الأول : دراسات تطبيقية لبعض قصص الأطفال السوريّة ، موزّعة على مساحة واسعة من الأنماط السلوكيّة الاجتماعيّة ، كالتعاون والحث على العمل والتشبّع بالروح الانسانيّة والوطنيّة بما في

ذلك تمشّق الحريّة والتضحية في سبيلها ، اضافة الى القصص الوصفيّة .

ـ والفصل الثاني : آفاق القصّة الطفليّة ، وأساليب تطويرها . وفيه تناولت أبرز الأسباب التي لم تمكن الكتّاب السوريين من ولوج عالم الطفولة بعمق . فمعظم الكتّاب السوريين اكتفوا بالدخول من النوافذ ، أو الاطلال من الشرفة . وهذا يعود الى اعتبارات عديدة أبرزها : ان معظم الذين كتبوا للأطفال لم يكونوا على دراية وافية بما يدور في نفسيّة الطفل وأجوائه ، كما كتب بعضهم ليثبت بطريقة قسرية انه ما زال موجودا ، ناهيك عن أولئك الذين لم يفرّقوا بين مرحلتي الطفولة المبكّرة والمتأخّرة ، واقتنعوا انهم يكتبون وكفى ...

كما يطالعنا نوع آخر من الكتّاب يجهلون تماما ميول الطفل ونوعيّة القراءة القصصيّة التي يرتاح اليها . لذلك كان لزاما على الكاتب أن يعي ويعلم بأن واقع فن القصّة القصيرة يحظى بأكبر عدد ممكن من القرّاء الأطفال ، وان نوعيّة القصص القصيرة التي يرغبونها : الفكاهات ، والموضوعات الطريفة ، ويلي ذلك المقالات العلمية والرحلات . وأقل الموضوعات استثارة هي المقالات السياسية . وهذا ما دفعني لأن أثبّت العناصر الفنيّة للقصّة والمتمثّلة في : الحدث ، الشخصيات ، الحبكة ، اللغة ، الخيال ، المغزى أو الهدف الذى يرمي اليه الكاتب . ولا بدّ من أن نؤكّد على ضرورة حمل القصّة عقدة واحدة ، لأن الطفل لا يستطيع أن يربط بين أكثر من عقدة .

وأشرت بالاضافة الى ذلك لمراحل الطفولة والتي تبدأ من (3 — 6) سنوات . وهي المرحلة الأولى وفيها يتمركز الطفل حول الذات ، ولا يخرج عن نطاقها .

أمّا المرحلة الثانية فهي من (6 — 9) ، وهي مرحلة الكون والأخذ بالاتجاه نحو العالم ، ومحاولة كسب المعرفة لأسرار الوجود والحياة ، أو بمعنى أوضح ارتباط الطفل بالواقع نتيجة نموّه الادراكي والاجتماعي .

والمرحلة الثالثة من (9 — 12) وهي التي تتمتّع بالقدرة على الخيال والتخيّل ، والتمييز بين الأشياء . هذا الخيال الذي يجب أن يراعى لكي يصبح ابتكارا يجنح من خلاله الطفل الى رؤية العالم بعين البصيرة ، فيتخلّص تدريجيا من الادراك الحسيّ الى الادراك المجرّد . وهو ما يسمّى في علم النفس بالذكاء الفطري .

أما المرحلة الرابعة فهي من (12 — 15) وتعتبر أرقى مرحلة ، فيها ينتقل الطفل من مرحلة الطفولة الى المراهقة ، وتترسّخ فيها القيم والمثل . وعلى سبيل المثال فان الأطفال في المرحلة الأخيرة يقبلون بشغف على قراءة القصص الخياليّة أكثر من اقبالهم على القصص التاريخيّة أو الرحلات . وهذا ما يجعلنا نلحّ على هذه الظاهرة الصحيّة في مثل هذا السن شريطة أن لا تستمر الى ما لا نهاية ، إذ يجب تخطّيها والتمتع بالقصص الواقعيّة ، والا أعيق تقدّم الطفل ، وأخّر نموه ، وتلعب الشخصيّة في قصص الأطفال دورا كبيرا في عمليّة تشويق الطفل وربطه بأحداث القصّة .

وقد عايش القرن التاسع عشر ولادة الأدب الحقيقي الموجّه للأطفال ، والذى اعتمد على التركيب الوصفي المتلك لأشرعة توصله الى قوّة الخيال ، وأهم ما يتميّز به استشراف المشهد

ووضعه في حيز مكاني مناسب .

ويلعب الخيال دورا هاما هو الآخر حين يضفي على الكلمات بعدا اضافيّا .. ومن هنا كان السياق السردي يحمل فقر أدوات الحكاية ..

ولا ننسى وجوب ابعاد الخيالات المخيفة المفزعة عن أدب الطفولة حتى لا يحدث نوع من القلق واضطراب المفاهيم عند مزج الخيال والحقيقة في قصص الأطفال ، فهذا يشكّل رؤية مبهمة عند الطفل .

أمّا المضامين في قصص الأطفال السوريّة . فقد لعبت هي الأخرى دورا ايجابيا حينا ، سلبيا حينا آخر ، واعتمدت في البدايات على الأسطورة التي نمت في صدر الانسان البدائيّ .. وبعد شرح الأسطورة وأبعادها ، وكيف ظهرت الدراسات النفسيّة والعلميّة والتربويّة وجدت أن الأطفال قادرون على تمثّل شخصية الحيوان أكثر من شخصيّة الانسان .

انتقلت بعدها الى أهميّة استخدام بطاقات صور الحيوان بشكل ملحوظ لأنها تساعد على فهم القصّة أكثر من غيرها ، ومن الضروري أن تكون اللغة مفهومة وسهلة ، كما بات واضحا ان تقديم الكاتب شخصيّة من النموذج المثالي الذي لا يعتريه أي نقص يغاير الواقع ، فمن الضروري اذن التحوّل نحو البطل الثنائي ، أو مجموعة الأبطال على رأي (أليف كاسيل) . بعد ذلك طرحت سؤالا : هل من الضروري استخدام شخصية الحيوان في قصص الأطفال ؟ .

لا نستطيع أن نقول نعم أو لا ، بل يرتبط الايجاب والسلب باستخدام الكاتب للرمز الحيواني . فاذا ما توفق قلنا نعم والا فلا .. غير أننا لا نستطيع أن نلغي الحيوان من أدب الأطفال ، ولكننا نرى أنه لا بد من الابتعاد عن الاغراق في استخدام معادلة البناء الفني المتمثلة في حوار حيوان مع حيوان .. ومن الممكن الاعتماد على الحيوان بقدر ملحوظ على أن لا تطغى (الصورة الحيوانية) دائما على القصة ، وأن يشارك عنصر بشري في عملية البناء الفني ، فيصبح الحوار الدائر بين حيوان وانسان .

والهدف من ذلك ابراز الطبائع البشرية بجوانبها الايجابية والسلبية ، ولا يجوز أن نخلط بين الطبيعتين حتى لا تختل المعادلة الفنية للقصة ، وهذا يعني تزاوج الخيال بالواقع .

وقد تحدثت قصص الأطفال عن البطولة والتضحية والفداء ، والتي تمحورت أساسا في القضية المركزية فلسطين ، وجل الكتاب اتخذوا من التهويل والبطولات الخارقة طريقا للوصول الى نفسية الطفل . ومن وجهة نظري ان المبالغة المفرطة ، والتهويل ، والاستهانة بامكانات العدو ، وقدراته ، ما هي الا أمور سلبية ترسم آلاف الأسئلة وعلامات التعجب في ذهن الطفل . فهو اذا أدرك فيما بعد ، أن العدو قد احتل فلسطين منذ عام (1948) ، واحتل أجزاء أخرى من الوطن العربي ، وما زال يجثم فوق صدورنا ، فلا بد أن يكون مردود مثل هذه القصص سلبيا ، لذا يتوجب على كتاب قصص الأطفال أن ينزلوا به الى حقل الواقع . الذى بدأ فعلا عندما عالجت نخبة من الأدباء

مع نفسه ومجتمعه ..!! وعليه أن يغوص في أعماق عالم الطفولة ، ليكون على دراية واسعة بما يحب الطفل وما يكره ، بالاضافة الى حتمية امتلاك الكاتب لأدواته الفنية حتى يجيد السباحة في أنهار الطفولة الرقراقة .

فالكتابة في حد ذاتها مسؤولية والتزام لأنها تشكل مستقبلية الأجيال ، وترسم ملامح وجه الأمة عبر تاريخها الطويل ..!!

أما اختيار موضوع الكتابة فهو أمر شاق وصعب .. فليس سهلا أن تتمركز الكتابة في موضوع شمولي يلمح الأزمنة (الماضي والحاضر والمستقبل) دون أن يعي الأديب معنى هذه الأزمنة ، فالأدب في رأيي خلق جديد ... وكشف واضاءة للجوانب غير المرئية في عالم الانسان ، يزداد عمقا وثراء بالانتهاء الى الحياة ، ولا يتسطح بحجة التبسيط وسهولة التواصل ، فهو ليس مرآة عادية تعكس الظواهر كما هي ، ولا آلة تصوير تستنسخ الواقع بكمل جوانبه ... صحيح انه يستمد عناصره من الحياة ، ولكنه يختار منها ما يحمل

قيما فنية ، وطاقات ايحائية قابلة للتفسير ، فقد يختار الأديب حدثا معينا ، أو جانبا من حدث ، قد ينتقي هذا الرمز وليس ذاك أو هذا النوع من العلاقات الانسانية وليس غيره ، وعياً منه بأن التعامل مع هذه الاختيارات بالذات يشكل اضافة جديدة للحياة ..

ان عملية الاختيار تبرز هوية الأديب الفنية وقدرته على ربط الظواهر التي تبدو متباعدة ، وايجاد العلاقات المنطقية بينها .. كما توضح أصالة ووعية لحقائق العصر، وهي الى جانب ذلك موقف مسئول لا يجوز أن يكون في رواق العرض والطلب ، فالكلمة بدء التكوين الانساني والحضاري ، انها البنيان المستقبلي المشرق للزمن الآتي .. والكيان المتكامل المضيء الذي يبعث الدفء والطمأنينة ، والحركة ، والرضي والاستشراف في النفس البشرية .. فهي ترفض أن تكون قسرية لأنها ولدت حرة كما ولد الانسان حرا ...!! وما دامت الكلمة كذلك

فاختيار مثل هذا الموضوع يجعلنا نسجّل بعض النقاط التي نراها ضروريّة .

ومن أهم النقاط التي يمكن أن ندرجها في هذا الصدد ، أن يعي الأديب الشروط الثقافيّة والاجتماعيّة، على أن تكون المعرفة العلميّة بالطفولة وبعالمها السيكولوجي خاصّة ،ضرورة لابداع أدب أطفال متكامل مع العمليّة التربويّة .

ولا بدّ أن يتمتّع الأديب بموهبة أدبيّة أصيلة، كما تظل الصورة الواقعيّة المحسوسة أقرب الى عالم الطفل من الصورة الخياليّة .

ان ما شدّني لاختيار القصّة الطفليّة في سورية، هو اهتمامي الكبير منذ نعومة أظفاري بعالم الطفولة ، هذا العالم الذى يحدد ملامح وجوهنا في المستقبل ، ويعمّق جذورنا في أرضنا العطشى ، ويكوكب غدنا اذا عرفنا كيف نشكّله ونكوّنه .

ان موضوعي سيقتصر على الأدب الحديث ، والمتعلّق بالقصّة الطفليّة . . والذى طالعتنا

بدايته في الثلاثينات والأربعينات ..
ثم بدأ مرحلة نوعية جديدة
في الستينات أي بعد نكسة حزيران
عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

هذا الأدب الذي اتسم بالطابع العام
وكانت له صلة قوية بالقصة
الطفلية القديمة (حكايا الجدة) ، رغم
اختلاف الموضوعات والظروف المحيطة بالطفل ،
ورغم إختلاف الراوي ...!! .
فهما من ظاهرة حديثة إلا أنها أصولها
القديمة المرتكزة عليها .

البـــــــاب الأول

نشـــأة القصـــــة الطفليّـــة
مـراحـل نمـــوهـــا وتـطـــورها

++++++++++
++++++

الفصـــل الأول

- القصّـة الطفليّـة في سوريّـة ومقارنتها بمثيلاتها في الوطن العربي والعالم :

من الملفت للنظر أن كتّـاب أدب الأطفال قد اتجهوا بكتاباتهم اتجاهـــا واقعيا نتيجـة تأثـرهم بالتغيـرات التي طرأت على المواضيع ، وبالظروف التي يعيشها وطننا العربي ، فاستهدف كثير منهم تنميـة الشعـور القومي بالاضافة الى فتح عيني الطفل على آفـاق المستقبل ، ومجاراة معطيات العصـــر الذي يعيشـــه .

فهـم يركّـزون مثلا على أن ((الاتحـاد قـوة)) كما في قصّـة زكريـــا تامـــر (أقـــوى رجـــل) ، هذا بالاضافة الى تعليمه الوفـاء والايـــاء ، الخ ، والحقيقـة أن الكتابة للطفل ليست بالأمـر السهل كما اعتقد بعـض الكتّـاب الذين وقعـوا في اشكالات لا حصـر لهـا ، وعلى سبيل المثال فقد اعتبـروا " حـب الوطـن " موضوعا تلقينيا فجاءت قصصهـم مباشـرة ولا أدرى كيف غـاب عن أذهانهـم أن الوطن بروابيـه المخضـرّة وحدائقه الغنّـاء ، روح وجمـــال ، واقـع وخيـال . فلماذا عندما نحـدّث طفلنا عن فلسطيـن — مثلا — نقيّـده بالسلاسل كما فعل الصهاينة المجرمون ..؟.

لماذا لا نتـرك لخيالـه العنـان ، ولجناحيـه أن يرفرفا في حقـــول يافـا البرتقاليّـة ...؟ لماذا نحبس صوتـه الجميل عن الغنـاء ...؟ وهنا لا بـد لي أن أتساءل : كيـــف يمكـــن أن نـربـي جيـــلا من خـــلال قـــصص تصـــر على استعمـــال لغـــة التلقيـــن والنصـــح ...؟ !.

لمــــاذا نعلّـــم أطفالنـــا الاتكــاليـــة ... ؟ ،

لنـــدع الطفـــل يكتشـــف الشـيء بـذاتـــه كي تـزرع فيـــه الثقـــة بالنفـــس .. !!.

أليـس من الضـروري أن نرسـم لـه عالمـه في هذه القصص ما دام يسـره ذلك ..؟

أوليس من الأجدى أن ننمي فيه حب العمل الجماعـي ، ونبعـده عن الفرديّـة

والأنسانية؟ أما حان الوقت لكي نعرّفه على أرجاء وطنه العربي بأجزائه المغتصبة بكل تفاؤل وشموخ وإباء ....؟؟

ان أبرز ما يميّز القصّة الناجحة احتضانها اهتمام الطفل، وذلك من خلال لغتها ومعانيها وشخصيّات أبطالها، لتشبع رغباته وميوله، وتعمّق في داخله المعاني الانسانية، كما تهبه فيه الحيويّة والعذوبة، وتوسّع مدارك خياله، وتضعه أمام الواقع بكل عفويّة وصدق... فيصبح مرهف الحس، متدفق المشاعر...

ان الطفولة في وطننا طفولة معذّبة معقّدة... فلماذا لا نحل هذه العقد، ونرسم على الشفاه الابتسامات الورديّة... ليصبح أطفالنا كنظرائهم في العالم المتحضّر...؟!!

ان كتّاب الأطفال أمام تحد صعب، فتطوير هذا الأدب يشكل ذلك التحدي، لأن تطويره يسهم اسهاما حقيقيا في العملية التربوية بكل أبعادها ومحتواها الثقافي، والاجتماعي، والسياسي .. اذا أخذنا في اعتبارنا ما يحيط بالطفل العربي من حياة مأساوية — لا بدّ أن تجد انعكاساتها عليه ..

فطفلنا العربيّ اذن يفرض علينا أن نعي كافة الظروف المحيطة به، ويتطلّب منا أن نكون في المستوى المطلوب، لما يلقى على كاهلنا تجاهه...

ومن هنا كانت الكتابة للأطفال من أخطر أنواع الكتابة .. فهي تتعلّق مباشرة بخلق أجيال الغد. ولا بدّ لنا والحالة هذه أن نغرس فيه الوعي، والأمل من خلال الكتاب ليدرك تدريجيا الواقع المأساوي الذي يعيشه الوطن والمواطن في هذا الزمن .

ولا يكون ذلك في رأينا الا اذا طوّرنا عالمه الروحي لتتطوّر مقدرته على التخيّل والتصوّر، وتتسع مداركه لاستيعاب الأشياء بطريقة مبسّطة وحيويّة بمقدار ما يخدم نفسيّة الطفل، وتشكيل عالمه الخارجي، وتنمية مواهبه...

ولقد عملت الآداب العالمية على غرس هذه الروح في نفسية الطفل ، واشباعها دون أن تثقلها أو تخلق نوعا من السأم فيها وذلك من خلال محورين رئيسيين ، فرضهما تباين الأنظمة السياسية. المحور الرأسمالي ، والمحور الاشتراكي .

فالمحور الرأسمالي أخذ بعين الاعتبار في معظم الأحيان ، حاجات الطفل المتعلقة بنفسيته وحاسيته وطبيعته. الا أن الأولويات في نشر أدب الأطفال تخضع الى حد كبير للناحية التجارية ، فانتاج كتب ومجلات الأطفال يعتبر مصدرا/لدخل هاما الناشرين الذين اكتشفوا أن الأطفال يشكلون مادة جيّدة للنشر. فبالنسبة للدول الأوروبية رغم تباين أنظمتها نجدها في نفس السياق الاجتماعي والاقتصادى والسياسي .، ولذا نجد تجانسا في انتاج أدب الأطفال الى حد كبير ...

وتعتبر انكلترا(1) أعرق الدول الأوروبية في انتاج أدب الأطفال ، فكان (جون نيوبرى) أول من أنشأ دار نشر ومكتبة للأطفال وذلك عام ألف وسبعمائة وأربعة وأربعين ميلادية ... ومما لاشك فيه أن مضمون هذا الأدب تطوّر عبر العصور ، وهذا راجع الى أن الاعتراف بالأطفال ، كجمهور له خصائصه ، ومميّزاته ، كان مبكّرا . وما يزال الانتاج هاما جدا هناك ، حتى يومنا هذا ، ورغم الانخفاض الكبير عام ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين ، وألف وتسعمائة وستة وسبعين . فقد بلغت منشورات أدب الأطفال أربعة آلاف عنوانا في السنة. غير أن الانتاج الانكليزى كالأمريكي ، بقي منغلقا على نفسه ، فترجمات الأعمال الأجنبية : ألمانية ، فرنسية ، اسبانية ...الخ . موجودة لكنها لا تشكل الا نسبة مئوية ضئيلة

1- أدب الأطفال والفتيان في العالم - ص 10 - 21 (دنيز اسكاربيت) .

لا تـزيد على (5 ٪) . علما بأن ترجمة الأصـال الانكليزيّة تتـم بدرجـة واسـعـة في أغلـب البلدان الانكلوساكسـونيّة ذات الجمهور العريـض ، والاحتياطـي الواسـع من المـواهب، والتي تحـقق اكتفاء ذاتيّا ... ومما يـدعّم هذا الأدب، الصحـافـة، فكبريات الصحف تخصص زاويـة لأدب الشباب، كما عمـدت دور النشر الكبيرة، منذ السبعينات شـكل دار النشر: (بنكـوان ، كولينـز ، بان بوكـس) الى كتـاب الجيـب لثلاثـة مستويات من الأعمـار . وسيمات هذه الكتب رائجـة جـدا نظرا لأسـعارها المعقـولة... فتصـدر بمعـدّل أربعين الى خمسين ألف نسـخة يخـصـص معظمها لأدب الفتيـان ... وتـدعـم المدارس هذا الأدب ، حيث تصـدّر نشـرات نقديّـة عديدة من قبل مجموعات من المدرسين .

أمّـا أدب الأطفال في البلدان الشمالية التي تأخذ لغتهـا حيّـزا محـدودا جـدا : فتستند الى الترجمات والاقتباسات القادمة من ألمانيـا الى الدانمـارك والسويد ، ومن بريطانيا للنـروج ، ولـم تتطـوّر السـويد مثلا في هذا المضـار الا مـؤخـرا ... ففي عام ألف وتسعمائة وسبعـة وسبعين أصـدرت خمسمائة وواحد وخمسين عنوانـا مقابل ثلاثمائة وواحـد وثمانين في عامي ثلاثة وسبعين ، وأربعة وسبعين ، اضافة الى ذلك ظلّـت البلدان الشمالية آخـذة بالتـطوّر .. وهي الآن تمتلك مكتبـات جيّـدة للأطفـال .

وبالنسبة لفرنسـا فهي تتمتّـع الآن بمجموعة من الكتّاب الممتازين والرسّامين ، ساعد على ابـرازهم بعض الناشرين . أمّـا السلطـة فقد تقاعسـت في انشاء المكتبات وتشجيع النشـر ، شأنها شأن وسائل الاعلام التي كادت أن تتجاهل هذا الأدب تمـاما .

أمّا من الأدب الطفلي النوعي فلم تنشر بعض الأعمال في اسبانيا وفرنسا الا في السنوات العشر الأخيرة ...

وفي ايطاليا تطلّب الأمر اصلاحا تربويا في العشرينات، ورغم ذلك فأدب الأطفال فقير جدا بالمقارنة مع ألمانيا والبلدان الانكلوساكسونية ....

وتجدر الاشارة هنا الى أن كتاب الطفل في اليابان - مثلا - بعد الحرب الأخيرة قد حقّق قفزة معتبرة، وذلك لأن الدولة قد اعتبرت هذا الكتاب الطريق الى الديموقراطيّة المستقبليّة للشعب. وهناك ارتباط وثيق بين برامج التلفزة والكتب المخصصة للصغار، فيمكن أن تعطي مجلات وألبومات لمن هم في سن الثانية، سواء بشكل ألعاب أو للمطالعة.. وهذه الكتب مزيّنة بالرسوم الجذّابة. وفي الآونة الأخيرة جرى التركيز على نشر الألبومات حيث الخط الياباني بأسلوب جديد، الاّ أننا اذا تصفّحنا هذه الكتب وجدناها في الغالب تحتوي على شخصيات مرسومة نسخا عن الغرب... !! وهذا يعود الى مجاراة تقليد اليابان للغرب.

واذا انتقلنا الى المحور الاشتراكي نجده يختلف في منظوره تماما لأن الكتاب أداة بناء شخصية " مواطن المستقبل الاشتراكي " والذي هو بالضرورة - الطفل - ولا ننسى أبدا حاجات تطوّره، ولذا تتبنّى الدولة هذا الأدب تبنيا مطلقا.

- ففي كوبا بلغ متوسّط الإصدارات أربعمائة ألف نسخة.. علما بأن عدد السكّان حوالي ثماني ملايين نسمة..

- وفي بولونيا معدّل الإصدار عام ألف وتسعمائة وأربعة وسبعين حوالي خمسة وخمسون ألف كتاب..

ـ أمّا الصين الشعبية(1)، فهي بمعدّل مائتي ألف نسخة الى ثلاثمائة ألف نسخة ، وهي التي استطاعت أن تحلّ مشكلة محو الأميّة ،التي كانت أحد أهداف " ماوتسي تونغ " . ويمكن أن نعتبر حاليا أن مجمل شبيبة الصين قد تعلّمت القراءة والكتابة، ويجرى انتاج الكتب ، أو بالأحرى الكتيبات بغزارة بنسبة اصدار مدهش ، وهي بشكل عام تطبع من ورق الصحف عدا بعض العناوين المنشورة باللغات الأجنبيّة التي تطبع على ورق مصقول ، ونجد أن مضمون هذه القصص تقليدي ، أو ايديولوجي يصف الطفل في حياته اليوميّة ، أو يذكّره باللحظات الحاسمة في الثورة الصينية .

ـ واذا ما انتقلنا الى ألمانيا الديموقراطية(2) نجد أن أرقام العناوين المنشورة عام / 1974 / من دار النشر (داس ـ كيندر فلاغ) في برلين (2500) عنوانا تمثّل (25) مليون نسمة ، وتحاول أن تستبدل الأدب المدافع عن القيم البورجوازيّة التقليديّة بأدب ثوري وبرولىتاري .

ولا بدّ أن نشير الى أن الأعمال المنشورة في الخارج ليست مستثناة ،إذ كانت تسهم في بناء مجتمع اشتراكي شأنها شأن أعمال الألمان المنفيين المدافعين عن أفكار اشتراكية أو انسانيّة .

فالدولة تنتج هذا الأدب وتنشيء البنيات الضرورية للاستهلاك والتطوّر ، وبهذه الطريقة يمتلك كل بلد اشتراكي دور نشر مختصّة ، حيث يخضع الانتاج لخطّة معيّنة ، وان الشكل الخارجي للأعمال الذي كان لفترة طويلة متواضعا جدا ، قد تحوّل فجأة ، ما عدا على ما يبدو في رومانيا ، ومع ذلك فهناك مسائل نوعيّة في كل بلد ، وتتمثّل في الجمهوريات الاتحادية السوفييتية ، ففيها مثلا (70) لغة ،لهذا فان الكتب تنشر بمختلف اللغات ، وتغتني الآداب الوطنيّة من بعضها .

1ـ أدب الأطفال والفتيان في العالم ـ ص (16 ـ 17) .
2ـ أدب الأطفال والفتيان في العالم ـ ص (12 ـ 13) .

ويمكن أن تصل الاصدارات الى أربعمائة وخمسين ألف نسخة.

وفي تشيكوسلوفاكيا أيضا نلاحظ تطور أدبين متوازيين : الأدب البوهيمي في التشيك ، والأدب السلوفاكي في سلوفاكيا .

أما فيما يتعلّق بايجابيّات وسلبيات كل محور من المحورين ، فهنالك تشابك كبير وتشابه في بعض النقاط. فكلا المحورين يطمح في أن يبني انسانا جديدا عن طريق تنمية شخصيات الأطفال جسميا وعقليا ، ولكن على طريقته الخاصة .

فالمحور الرأسمالي يركّز على زرع روح الفردية في معظم كتب الأطفال ، بينما المحور الاشتراكي يهدف الى تنمية الروح الجماعية . وهنا يُعدّ ان الطفل ليعيش ايجابيا في المجتمع ، ويختلط بالآخرين دون التخلي عن صفاته ، أما تحمّل المسئولية في المجتمع فيختلف المحوران في ذلك . .

فالأول يرى أنه يأتي من خلال الأنا الخاصة ، بينما يرى الثاني أنه لا يمكن أن يتحقق الا بالعمل الصالح للمجموع مع النظر الى الفرد بقيمة ما يعطي ، لا بقيمة ما يأخذ من المجتمع الذي يتواجد فيه العدو والصديق .

وبينما يرى المحور الأول أن تهيئة الطفل للتمييز بين الصالح والطالح أمر متروك للطفل نفسه ، يرى الآخر وجوب تهيئة الطفل لمثل هذا التمييز فتتبلور في ذهنه الأفكار عن الحياة الاجتماعية في الماضي والحاضر والمستقبل ، ويجعله يرتبط بأنماط سلوكيّة تقوم على العدل والمساواة وحب الخير للانسانيّة . . .

وينفرد المحور الثاني عن الأول بتقوية روح التضامن والتعاون بين الأطفال ، فالعمل التعاونيّ منح امكانيّات واسعة لتقدّم الانسانيّة عبر العصور ، ويلح كلا المحورين على تنمية اعتزاز الأطفال

بالوطن للاسهام بمسؤولياتهم في الغد ، وتربيتهم تربية وطنية ، غير أن المحور الثاني يضيف الى ذلك وجوب تعريفهم بالقيم الانسانية النبيلة " تمهيدا لتنمية السلوك الاشتراكي في نفوس الأطفال ، وبناء شخصيتهم بناء يمكنهم من العمل المبدع ..... أما بالنسبة للأديب ، فالمحور الأول يعتبر الاديب حرا فيما يقول ويكتب ، بينما الثاني يلحّ على توجيه الأديب للمواضيع التي تخدم الصالح العام ... فالأول أكثر حريّة في التعبير ، والثاني أقدر على العطاء الجماعي المثمر .. والأديب في المجتمع الرأسمالي لا ضمانة لحياته المعيشية إلاّ من خلال سعيه الفردي المتواصل لتأمين قوته ، بينما في المجتمع الاشتراكي يكون مستقبله المادي مضمونا من قبل الدولة متفرغا للكتابة فحسب ، وبهذه نقطة هامة فمعظم كتّاب المجتمع الرأسمالي تسيطر عليهم النزعة التجارية ، لتأمين مستقبلهم .

أما العالم الثالث فاننا نلاحظ تعدد اللغات المحلية في معظم البلدان وعلى الخصوص الافريقية وهذا يجعلنا نذهب الى أن غالبية كتب الأطفال المكتوبة باللغة المحلية لاتفي بالمطلوب .... مما اضطر هذه البلدان أن تعتمد اعتمادا كبيرا على الترجمة والاقتباس ... والاستعانة بروّوس الأموال الأوربية في مثل هذه الكتب ... ولا نريد أن نسترسل في

هذا المضمار... نظرا لأننا سنتناول في بحثنا الأساسي القصّة الطفليّة في سوريّة... والتي هي منطقة من مناطق العالم الثالث ...!!
لقد رأينا في هذه العجالة: ان أدب الطفولة وجد مكانه تحت الشمس حيث أصبح ظاهرة عالمية متفرِّدة. جعلت زيادة الانتاج خلال ثلاثين عاما تصبح : (400٪) ، وبمعنى أوضح ، ورغم كافة العراقيل والعوائق؛ فقد أصبح كل مكان في هذا العالم على اختلاف اتجاهاته السياسية، وأنظمته يدرك أن الطفل هو العامل الأساسي المميّز في السياسة والثقافة، لأنه صانع للمستقبل
ونورد فيما يلي نموذجا احصائيا لاصدارات بعض الدول المهتمة بأدب الأطفال : ،

البلد	الاصدارات أو عدد المؤلفات	عدد النسخ	العام
انكلترا	4000	(40 — 50) ألف	1975 .
السويد	381	. . .	1973—1974
	551	. . .	1977— 1978 .
فرنسا	اصدارات شعبية	(40) ألف	منذ السبعينات.
كوبا	. . .	(40) ألف	منذ السبعينات .
بولونيا	. . .	(55) ألف	1974 .
ألمانيا الديموقراطية — 2500		مليون — 250 ألف	1974 .
كوريا	1343		1978 .
الصين	. . .	(200 — 300) ألف	منذ السبعينات .
الاتحاد السوفيتي . .		(450) ألف	منذ السبعينات .

ــ أدب الأطفال والفتيان في العالم. ترجمة نادر ذكرى . منشورات دار الحوار بيروت ، ص : 9 — 10 — 11 — 12 — 13 — 17 .

أما أدب الأطفال في وطننا العربي ، وعلى الخصوص في بداياته ، فقد نقلت له بعض الترجمات بتصرف عن الانكليزية والفرنسية والألمانية وغيرها — وذلك من بيئة مغايرة تماما لبيئتنا وببتعد بعيد كل البعد عن مجتمعنا ....

أن ما نطالب به من واقعية أدب الأطفال لا يعني بالضرورة أن تعكس الأشياء بظواهرها ، وانما نعني مزج الخيال بالواقع لتخرج صورة مشرقة ، تجعله يتفاعل والواقع .... ومتسائلا في مواقف تستوجب التساؤل ، وبذلك نكون قد خطونا خطوات واسعة؛ على طريق التحليل المتبسّط ، والتصور المعقول ولهذا نقرر حقيقة مفادها أن القصة الطفلية لا يمكن أن تكون وسيلة تربوية ناجحة إلا إذا استطاعت أن تخلق لدى الطفل عالما جديدا من المتعة بأسلوب شيق واضح ، ولغة بسيطة فصيحة ......

فهل وصلت القصة الطفلية في سورية الى هذا المستوى ؟ ! ، هذا ما سنحاول الاجابة عنه من خلال تتبعنا لمسيرة هذا الأدب .

نشأ أدب الأطفال عموما في سورية ، في ظل المدارس ، هادفا تهذيب الطفل وتعليمه ، وذلك من خلال الأناشيد ، والمحاورات والقصائد الغنائية والتمثيليات ...

وقد حمل هذا الأدب الطابع الوطني والقومي ولا سيما أن الفترة التاريخية التي نشأ فيها ـ الثلاثينات والأربعينات والخمسينات ، هي فترة نهوض قومي ، تعتمد اعتمادا

كبيرا على اذكاء روح الحماسة والارتباط بالأمة ،
ولعل أول من عمل في هذا الميدان عبد الكريم
الحيدري ونصرة سعيد في حلب ، والدكتور
جميل سلطان وأخوه أنور سلطان وعبد الرحمن
السفرجلاني في دمشق حين أصدروا مشتركين ديوان
(الاستظهار المصوّر) في أدب البنين والبنات ، طبعته
المكتبة الهاشمية بدمشق وذلك عام ١٩٣٧ وقد ضم
هذا الديوان عددا من القصائد عن الفلاح
والقلم - والدجاجة - القبّرة والديك ، والنحل ،
والهرة اللطيفة ، والأرنب ، والعمال الصغار
والكتاب - وكرة القدم . غلب على هذا الديوان
الأسلوب التعليمي والوعظ والارشاد ، كما تغلّبت
فيه الحكاية والأقصوصة ... وهذا يعني أن عنصر
التشويق كان يُقذف على الأرض .

وفي الأربعينات برز من هؤلاء الأستاذ نصرة سعيد الذي
طلع علينا بثلاثة كتب ، هي :
(مصرع الباغي وغيره) ، (لتحيا الأمّة) ،
و (السارق و المسروق) . وهذه القصص أقرب الى المواضيع
الانشائيّة منها الى أدب الأطفال ، اضافة الى أنها خاطبت
الأطفال بلغة الكبار لأن دائرة أدب الأطفال لم تتطور ولم
تكتمل في مخيّلة كتّاب تلك المرحلة . فلم تتوضّح لديهم
ملامح عالم الطفولة بالمعنى الحقيقي ، مما أوقعهم

في متاهات ومجاهل كانوا في غنى عنها ولو عرفوا سيكولوجية الطفل ، لعرفوا كيف يخاطبونه بلغته ، ومشاعره وبلونه ، ويوجهونه بطريقة فاعلة .

بقي أدب الأطفال وخاصة القصة الطفلية في سوريا محاولات لاتتسم بالحيوية ، ولا تلج عالمه الداخلي ليؤثر تأثيرا حقيقيا ، الا بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ عندما صدرت مجلتيا (أسامة) ١٩٦٩ و (رافع) ١٩٧٠ للاطفال محققة قفزة نوعية في هذا المضمار . حيث توجه بعض الشعراء وكتّاب القصة وبعض المترجمين بانتاجهم الى الأطفال ....

وقد تحققت هذه القفزة الى حد كبير من خلال تنافسهم على جذب الطفل والدخول الى عالمه ...... ما خلق نوعا من الابداع . اذ تبلورت في أذهان الكتّاب ملامح أدب الأطفال ، وأصبحوا يدركون أن له سماته الخاصة لاسيما في سنه المبكرة ، كما أدركوا أن عناصر هذه الآداب تتلخّص في الايقاع والخيال ، واللغة ، وفي المجتمع والواقع والتلقي . ولا يمكن بعثرة هذه العناصر أو تغريب بعضها . فالعلاقة قائمة بينها ، وهي على وجه التحديد كالعلاقة القائمة بين الانسان وظرفه التاريخي ..!

أما ما يمكن أن يشكل مهمة الابداع في أدب

الأطفال ، فهي ثنائية الايقاع والمجتمع ، فالدائرة التي يدور فيها أدب الأطفال ، لابد أن يكون مركزها هذه الثنائية التي يجب أن تفهم في اطارها الصحيح .

فليس الايقاع موسيقى أو كلمات وانما هو : الارتقاء بالموسيقى أو الكلمات الى درجة علاقة تحيط بمجتمع الطفولة الخاص ...

وهذا يترتب عليه انتظام رؤية الأديب أو المربي في ملامسة التجربة الانسانية اذا لم يقبل التعمق فيها . وهذا يعني بالطبع احاطة الأديب بعلائق مجتمع الطفولة واثراء خصوبة النظر الى الأشياء . ومن الجدير بالذكر أن دوائر المجتمع الطفلي المتعاطية مع الايقاع تتجسد في : المكان والزمان ، الأسرة ، الموضوع ، الفعل ، الشخصية ، ومما لاشك فيه أن العناية بالعلاقات الأسريّة داخل العمل الأدبي أمر هام وضروري جدا ... ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نقول : ان كل أديب لايتعهد بهذه العلاقات الحميمة ضلّ طريقه لأن هذه العلاقات تتوفر للقصة الطفلية فرصا واسعة للمحاكاة والمماثلة الاجتماعيّة ، والاقتداء ...

وأهم ما ترتكز عليه القصّة الطفليّة " الفعل " ، ويجب أن تكون الشخصيّة في أدب الأطفال هي التي تصنع مدارها الزمني ، فليس من

المناسب أن يجاهر الكاتب بفكرته عن الحياة ، أو أن يؤطر الزمن كما يراه ، فمملكة الطفولة أرضها رحبة ، وفضاؤها واسع ...

وما دمنا في الأرض الرحبة والفضاء الواسع ، فلا بد أن نشير الى أن ثنائية (الخيالي ، والواقعي) لها مجالاتها الأكثر تعقيدا . فاذا كانت المأثورات والأساطير والحكايات تشكل أوسع المصادر لأدب الأطفال فان الأنسنة " التحدث على ألسنة الحيوان " ، والخوارق ، والطبيعة ، والابتكار والابداع ، هي المجسدة للنزوع التعبيري عن مملكة الطفولة .

ولقد سبق أن أشرنا الى وجوب التزاوج بين الخيال والواقع ... فهما متداخلان باستمرار على نحو مؤثر في سياق النص التربوي . وعلى ما يبدو ان ثنائية الخيال والواقعية هي القاسم المشترك في أدب / الأطفال / قديمه وحديثه ، فقد ذكرت د . ناديا خوست :

((ان أدب(1) الأطفال الجديد سرعان ما أخذ الطابع العام نفسه الذى كان لأدب الأطفال بعامة ...
لقد انتقل من البساطة الى التعقيد ، فلم يعد صورة للأحلام وحدها بل أضاف اليها تعبيره عن تمزق الاحلام ، وارتفاع الخطر والتناقضات في الواقع)) .

1- مجلة الموقف الأدبي ((العدد 95)) مارس (آذار) 1979 ص 20-21

وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه في أن أدب الأطفال قد اتجه الى البحث عن النجاة ، ومحاولة تفسير الواقع من خلال المزج بين الواقع والخيال . ولقد استفاد هذا الأدب من منجزات التطور العلمي والفني والنفسي والحضاري لذلك لا يكون الأدب الخيالي فيه استعارة أو رمزا او دلالة لواقع الحال ، بل تكون الاستعارة أو الرمز او الدلالة في صلب المبنى الواقعي للعمل الأدبي . ويكون الخيالي والحالة هذه ، هو ما يرى في عناصره أو ما يشير اليها كالحركات والأصوات والصفات والألوان . والتحولات والوقائع والاحداث والعلاقات بين هذه العناصر تشكل أبعادا تكشف عن تركيب العمل الأدبي .

فالخيال يتكون عن طريق الاستعارة أو الرمز او الدلالة ((فنجاح أدب الأطفال مرتبط ايضا بحل اشكالية ثنائية اللغة والتلقي))(1) .... وهذا يعني أن الطفل دائما يريد أن يدرك مفاهيم العالم عبر معالجة شاملة للقضايا الملحة في حياته خلال كل مرحلة تاريخية . ومن هنا تبرز اللغة بروزا واضح المعالم باعتبارها السبيل لهذا الادراك .... فهي تراعي متطلبات لغة الاتصال في الفن أو الوسط في الجهاز الثقافي أو ذاك .. وهي بالتالي مرهونة باعتبارات التلقي لدى جمهور الأطفال ....

١- أدب الطفل معضلة التربية وصعوبة الفن - عبد الله أبو هيف (ملحق المعرفة) ص ١١٩

مما يجعلنا نؤكد على ضرورة الارتقاء عن مجرد مخاطبة الأطفال الى انتاج أو اعادة انتاج أدب جديد . ولا بد أن تتحكم اللغة بسلامة الانشاء ووضوح الايصال .... فيجب أن تكون طريقة الكتابة بسيطة .... شيقة ومشرقة وأن تكون اللفظة معبرة ، وموحية . ناهيك عن وجوب سلامة اللغة . وهذا يضع الأديب أمام نقطتين جوهريتين : مدلول اللغة وما فيه من أشكال البلاغة والمجاز . والتي يجب أن يحللها الأديب بشكل لائق ومقبول عند الطفل . والنقطة الثانية . اللغة المعبّرة وهي ما يضفيه الأديب على فضاء النص وبنيته اللغوية من (احالات) تراثية ومعاصرة ، اسطورية أو شعبية أو علمية . ولا يخفى أن همزة الوصل : الكتاب أو الاذاعة المرئية أو المسموعة ، السينما ، والمسرح أو الصحافة ، ولكل دوره الفاعل في مجتمع الأطفال .

ولعل أكثرها فاعلية الاذاعة المرئية .... وعلى الخصوص في المراحل الطفلية الأولى ...!!

ومن الواضح أن قصاصي الأطفال السوريين يلتزمون بالمفهوم المحدد للواقعية ((بحيث يعتبر واقعيا كل مما يدور في العالم الخارجي للطفل ويتقبله على أنه شيء ممكن الحدوث أو حادث فعلا . ويضفي الطفل على هذا الواقع أشياء أخرى من خياله ، ولكن هذه الاضافات لا تخرج من اطار ما هو موجود في واقع الطفل ، وهو صحيح إلا أنهم يغفلون ارتباطه بالخيال)) (1) . والقصّة ضمن هذا المفهوم للواقعيّة قصّة غير فاعلة اذ

1- مشكلات قصص الأطفال في سورية . سمر روحي الفيصل ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، ص 43 .

ينبغي أن تضم مثيرات كافية لاطلاق عنان خيال الطفل (كنشاط ذهني فردي) .

ان الالتفات الى الواقعيّة دون ربطها بالخيال أو الى الخيال دون ربطه بالواقعيّة يجعل الأديب في معظم الأحيان لايستطيع توفير الأمرين (الخيال والواقع) معا في القصّة الواحدة .

كما لا يستطيع أن يقيم توازنا حقيقيا بينهما بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر .

صحيح أن مبدأ ضعف ارتباط الطفل بالواقع ملاحظة مهمّة خاصة عند الذين لم يتجاوزوا التاسعة من عمرهم ، إلا أن ذلك لا يعني أنّه مبدأ وحيد . فهناك التمركز حول الذات ، والموضوعات الخاصّة بالذكور ، دون الاناث ، وبالعكس ، اضافة الى الاندماج بالبيئة المحيطة ، والتفاعل معها ، والنمو النفسي ، وهذه النقاط لم يجر التأكيد عليها في موضوعات القصص التي تتحكّم فيها قضية القيم والمعارف ، وعلى وجه الخصوص الهدف القيميّ ، العامل الأول ، في اختيار الموضوع ....

وقد دلّت دراسات ميدانيّة كثيرة على أن تطور الطفل الاجتماعي يستمر طويلا ليحقق ذاته ، فهو يحاول دائما أن يرفض الآراء ونصائح والديه واخوته ، كما يمارس الشغب داخل البيت وخارجه ، مما يفسّر حياة الطفل الاجتماعيّة المتناقضة ، ولكننا نراه يكاد يكون مفقودا في قصص الأطفال السويّة ، فنمو الطفل نموا

نفسها مناسبا يلعب دوراً هاماً في تشكيل عالمه الخاص ، واتجاهات شخصيته ، وهذا يتطلب توفير بيئة غنية بالمؤثرات الثقافية القادرة على جذب الطفل وفسح المجال لطاقاته الذهنية الملأى بالخبرات الانفعالية والاجتماعية لتوجيه نشاطه وجهة تحقق وجوده ، مما يدعو للاعتقاد ((بأن قصص الأطفال لا بد أن تراعي حاجة الطفل الى الأمن والحب والاطمئنان ، واتجاهات الذات فتعالج من خلال القصّة بصورة غير مباشرة .

ومن هنا نستطيع تبرير حقيقة هامة تقول : انّ الموضوعات الصالحة لأدب الأطفال تحتاج الى دراسات تربوية تعنى بمعرفة ميول الأطفال ، وتتعرف على دوافعهم واهتماماتهم وخبراتهم . ولهذا نجد قصص الاطفال السورية متفاوتة في هذه النقطة ، حيث يجد المرء موضوعات عديدة تلائم الكبار ، وليس لها علاقة اطلاقها بالأطفال . كتلك القصص التي تتحدث مباشرة عن حاجة الطفل للحب ، وحنان الأم والتفاؤل ، واستبعاد الحزن .

ان مثل هذه القصص لا تقدم أية فائدة للطفل لأنها خارج دائرة اهتمامه وادراكه ، بالإضافة الى انها مطروحة عليه بشكل مباشر . وهذا يدخلنا من جديد في دوائر متجددة من الأسئلة : تدور حول المعايير التي يجب أن تستند إليها القصة الطفلية ، اذا ما

أردنا الحكم على ملاءمة الموضوع للطفل ، أو عدم ملاءمته له....

فهل تكون هذه ((المعايير[1] ذاتية ، تنبع من خبرة القاص أو ناقد قصص الأطفال؟ أم هي معايير علمية تدرس مراحل النمو عند الطفل ؟)) وبذلك تطرح ما يناسب كل مرحلة من أفكار وموضوعات.

ففي الواقع أن معاييرنا ما زالت ذاتية بعيدة عن الدراسة العلمية ، وأفضل دليل على ذلك تلك النقدات الصحفية التي تتحدث عن أدب الأطفال ، اذ توضح خطر تضليل قصاصي الأطفال في الموضوعات التي يطرحونها.

((ان غالبية موضوعات قصص الأطفال في سورية[2] تعتمد على مبدأ ضعف ارتباط الطفل بالواقع ، ولهذا تتكلم الحيوانات وتتحاور فيما بينها ، وتخاطب الانسان وتتبادل معه الحديث ، كما أن الطبيعة الصامتة تنفعل الشيء نفسه ، وتتمتع بأحاسيس الانسان العادي من حب وكره وحزن وغضب)) .

1- مشكلات قصص الأطفال في سورية — سمر روحي الفيصل ص 41 — 42 .

2- مشكلات قصص الأطفال في سورية — سمر روحي الفيصل — منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ص 42 — 43 .

وباستطاعة المرء أن يثبت ما ذهبنا اليه بمجرّد قراءته لمجموعة: ((السماء تمطر خرافا)) للكاتبة دلال حاتم، و ((العصافير تبحث عن وطن)) للكاتب ياسين رفاعيّة. وهذا يفسّر بوضوح طغيان القصّة القصيرة جدا على المجموعات التي تنشرها المؤسسات الرسميّة. وذلك لكونها تطرق غرضها مباشرة معتمدة على ضعف ارتباط الطفل بالواقع .

((فموضوعات القصّة القصيرة جدا ،تتضمّن حدثا واحدا في الغالب، وتحرص على أن يكون بسيطا يقود الى دلالة محدّدة، كما تحرص على التركيز والاقتصاد في استخدام الألفاظ. وفي الغالب تطرق القصّة القصيرة جدا غرضها مباشرة، وتعتمد على ضعف ارتباط الطفل بالواقع، وتجمع بين السرد والحوار)) .(1)

و((نقصد بالقصّة القصيرة جدا تلك التي لا يتجاوز عدد كلماتها أربعمائة في الغالب الأعم)) ...(2)

ونحن ضد هذا النوع من القصص لأنه يغفل المقدرة الذاتيّة لقطاع واسع من الأطفال، كما يكون تأطيرا تعسّفيا للقصّة نفسها .

((وقصر القصّة لا يسمح بتوضيح ملامح أية شخصيّة(3)

1- مشكلات قصص الأطفال في سوريّة - سمر روحي الفيصل . ص 37 .

2- نفس المرجع - ص 33 .

3- المرجع نفسه - ص 52 .

وبالتالي ينزوي دورها ويضمحل أثرها في الطفل)) .

فهي لا تتضمن تشوقيا كافيا يشد الطفل ويضعها في دائرة وجوب تطوير هذا المسار بحيث يضم قصصا تناسب مراحل نمو الطفل وتتابع هذا النمو من منظور سيكولوجي . والا فسيتعاظم الاقبال والاعتماد على دور النشر الخاصة والقصص المعربة الأخرى التي تسد هذه الثغرة في قصص الأطفال السورية ، اذا ما أضفنا الى ذلك أيضا وجوب المناسبة بموضوعات القصص تبعا لمراحل النمو وتخطي الافتقار الى ما يرشد الطفل أو الأب لملاءمة القصة لهذه السن أو تلك ..... وهذه في الواقع مهمة تقع على عاتق القصاصين أنفسهم . وعلى عاتق المؤسسة الناشرة التي لابد أن تضع على الغلاف بصدق ودقة المصر الزمني الذي تناسبه القصة ....

وما نطمح اليه هو توفير دراسات خاصة بالطفولة في مختلف نواحيها ، تكون مرجعا رئيسيا للقصاصين . ولعلنا نميل الى اعتماد القصة القصيرة للأطفال في معظم الأحيان . ونقصد بالقصة القصيرة تلك التي يتراوح عدد كلماتها بين ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ كلمة وتستغرق في قراءتها ثماني دقائق وما فوق ......

وهي تستخدم عادة ((مجموعة أحداث[1] ترتبها ترتيبا معينا كي تنتهي منها الى مغزى محدد . يضاف الى ذلك لبروزها الى العرض والعقدة والخاتمة ،

---

(١) مشكلات قصص الاطفال في سورية - سمر روحي الفيصل - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ص ٣٦

وجمعها بين السرد والحوار مع ما هو ملاحظ من طغيان الأول على الثاني لسد الثغرات في الزمن القصصي ، ومن حرص على وصف الجزئيات والشخصيات واعتماد واضح عن الرمز .)) وهذا لا ينفي أن تتضمن القصة القصيرة حدثا واحدا يكون سبيلا لبقود بالتالي الى دلالة محدودة ....

ولا ننسى أن القصة القصيرة أو القصيرة جدا تحتاج الى موهبة قادرة على كتابة تلك القصة .

ومشكلة الكتابة في هذين النوعين هي مشكلة الكتابة للكبار أيضا ، فهي عسيرة التأليف في الحقيقة ، سهلة في ظاهر الأمر تماما كالأسلوب السهل الممتنع ومن الضروري البحث المستمر عن الطاقات القادرة على الكتابة للطفل ، واتاحة فرص التدريب العميق والمنظم لمن لديهم الاستعداد المناسب ولعل مضامين القصص هي التي تلعب الدور الفاعل في نفسية الطفل .....

واذا ماألقينا نظرة فاحصة على مضمون القصة الطفلية في سورية نجدها تنحصر في تقليد تصرفات الحيوان أو شكله أو طباعه وعلاقته مع الانسان والحيوانات الأخرى . والعناية في تحديد سمات البطل تكاد تكون مفقودة فهذه القصة مثلا تجعل / العصفور بطلا / وتلك تجعل الذئب ، وهكذا دواليك ، دون أن تحدد ملامح

خاصة تميّزها عن الأبطال ضمن النوع نفسه كأن نقول : ان البطل هو الديك الأحمر ، وهذا يعني رسم ملامح مميّزة للبطل ،تساعد الطفل على تمييزه بين فصيلته ، وتساهم في معرفته للحيوانات، وذلك من خلال توافق الصفة المعطاة للحيوان شكلا ، وما أعطي له من مضمون سواء كان خيرا أم شرا لترسّخه في ذاكرة الطفل فيصبح قادرا على الفرز فيما بعد .

ومن أهم المواضيع الأخرى التي تناولتها قصص الأطفال في سوريّة : الموضوعات الاجتماعيّة وما يتعلّق بها من قيم ومعارف، كالتعاون ، والايثار ، والفقر ، والعمل ، والأمومة ... وما الى ذلك . وقد التفت الى هذا النوع غالبية قصّاصي الأطفال في سوريّة ، وتشكّل الموضوعات الوطنيّة والقوميّة الدرجة الثالثة من اهتمامات القصّاصين السوريين ، وعلى رأسهم عادل أبو شنب ، وياسين رفاعيّة ...

أمّا الموضوعات الخيالية والعلميّة ، فيكاد ينفرد بها " طالب عمران " يشاركه أحيانا " أحمد عزيز " ..

كما برز نزار نجّار في الموضوعات المستمدّة من التاريخ العربي ، ولا يفوتنا أن ننوّه بتلك الموضوعات المستمدّة من العقيدة الاسلاميّة ، والتركيز على المعارك والفتوحات ، اضافة الى سيرة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) ، والصحابة والتابعين ، وهذا الحديث

بدوره يدخلنا الى ((البنية اللغوية)) (١) والتي تحتاج الى تحديد قوائم بالمفردات الأساسية والأنماط اللغوية المستخدمة من قبل الطفل في كل مرحلة من مراحل عمره وذلك لتكون البنية اللغوية للقصة صالحة للقراءة .

وهذا يستدعي نشر دراسات لغوية عن المفردات الأساسية للطفل قبل دخوله المدرسة الابتدائية ، كما يستدعي معرفة المفردات والأنماط المستخدمة في كل صف من صفوف المرحلة الابتدائية ، ولقد توفر هذا الأمر للصفين الأول والثاني حيث سجلت وزارة التربية السورية في ص (١٣٤) من الجزء الأول لكتاب القراءة ، وكذلك الصفحة نفسها من الجزء الثاني للصف الأول الابتدائي قائمة بالأسماء والصفات والأفعال والظروف والحروف المستخدمة في هذا الصف ، كما سجلت في دليل معلم هذا الصف (ص ١١) الأنماط اللغوية الأساسية التي يراد تعليمها للطفل ، وقامت الوزارة بالعمل نفسه في الصف الثاني ....

وليس غريبا اذن ، أن نقول (أن القضية اللغوية تحتاج الى دراسات كبيرة ودقيقة ولا تفيدنا كثيرا تلك الملاحظات العابرة والآراء الشخصية والمقاييس

١- مشكلات قصص الاطفال في سورية
سمر روحي الفيصل ص ٥٥

العامة لأنها لاتعتمد على أسس ثابتة في القضية اللغوية وخاصة المفردات الأساسية ولا بد أن تتدرج في هذه الألفاظ كأن نكرر اللفظة الجديدة في السياق القصصي لعدد من النصوص على أن يضمن هذا التكرار توضيح مفهوم اللفظة ، وتثبيتها في ذهن الطفل شكلا ومعنى ونطقا ، ولعب تحديد عدد الكلمات ومقدار تكرارها دورا هاما في هذا الصدد ، تهما لما تقدمه الينا الدراسات اللغوية .

أما ما يتعلق بالصعوبة في النطق ، فنرى ان تكون هناك دراسات محددة توضح الطريقة التي يجب اتباعها ، وهذا يعني : أن يكون الأديب ملما بـ(علم اللهجات) : الذي يبحث في الظواهر الناتجة عن تفرع لغة من اللغات الى لهجات تختلف باختلاف المواطن جغرافيا ، أو باختلاف الجماعات الناطقة بتلك اللغة ، واطلاعه أيضا على (علم الصوتيات) الباحث في الأصوات التي تتألف منها اللغة وخواص الحروف ومخارجها والاعضاء التي تنطق بها ، والطريقة التي يتلقاها بها عضو السمع ، وظواهر تطور النطق بتلك الحروف باختلاف العصور ، وغير ذلك من الأمور والقوانين . ومكتبتنا العربية مليئة بالكتب التي تبحث في الحروف وخواصها ومخارجها وما اشتملت عليه كتب اللغة

والنحو من مباحث في هذا الميدان اضافة الى (علم الدلالة) الباحث في شعب مختلفة أهمها : معاني الكلمات عند أصل الوضع ، وتطور بعض المعاني على مدى العصور ، والحقيقة والمجاز ، وغير ذلك من الأبحاث المعجمية ، كاشتقاق الكلمات وتصريفها وتغيير بنيتها لتغيير معانيها ، وغير ذلك من الأبحاث اللغوية تحت اسم (علم البنية) أو (المورفولوجيا) . ناهيك عن بيان العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ، وأثر المجتمع ومقوماته في مختلف الظواهر اللغوية ، والذي سمي في هذا العصر ، (علم الاجتماع اللغوي) وتوضيح العلاقة بين الظواهر اللغوية والأخرى النفسية كالتأمل والتذكر، والنزوع ، والايحاء ، والتأثير وغير ذلك من القضايا التي يعالجها علم النفس تحت أسم (علم النفس اللغوي) .

وذلك ليكون الأديب قادرا على تجنيب الطفل هذه الصعوبة ولعل التركيب أيسر على مدارك الطفل من اللفظة المنفردة أو المجردة ....

ونستطيع الادراك : بأن قصص الأطفال السوريّة تحتاج الى تدقيق القصّاصين في البناء اللغوي للجملة ، وعدم الاكثار من التراكيب المجازيّة التي أصبحت ظاهرة بارزة ، ولا بدّ أن نفرّق بين نوعين من التراكيب المجازيّة : نوع غير

مألوف لدى الطفل ، من الراجب الابتعاد عنه نهائيا في قصص الأطفال ، مثل : (الطريق تبتلعه السيارة) ، (الانسان يحارب الزمن) فهذا تركيب غامض ، ونوع مألوف كقولنا : انكسرت رجل الكرسي . يانور عوني - وصل الى رأس الشارع ... الخ . ويمكن استخدام تراكيب أخرى قريبة من تلك التي يستخدمها الطفل ، كالتشبيه التالي . مثلا (الجهل ظلام) ...

كما يتوجب على القصاصين السوريين الابتعاد عن الجمل الطويلة ، فالطفل ذو نفس قصير ، وغير قادر على حبس أنفاسه ، وهذا يجعله أمام الجملة الطويلة - يضطر لتقطيع حبل معرفة الروابط والألفاظ وبالتالي قطع المعنى الكلي ، مما يؤدي الى انعدام الربط بين أجزاء القصة وابتعاده عن قراءة النص ، فاستخدام الجمل القصيرة يفضي الى الغاية المرجوة .. ولا يجوز أن نستعمل التقديم والتأخير بكثرة ضمن اطار القصة ، لأن الطفل لا يعي ذلك فمحصوله اللغوي مازال ضعيفا واذا ماقلنا مثلا ((أين الكتاب)) [1] نجده يفهم ذلك بوضوح رغم تقديم الخبر على المبتدأ ، بينما نجده حائرا مرتبكا عندما نقول له : ((أين في كلامك [2] وكلام أصدقائك وجيرانك الصدق)) ؟ .

1- مشكلات قصص الأطفال في سورية — سمر روحي الفيصل ، ص118

2- نفس المصدر ونفس الصفحة .

تلك بعض الملامح والسمات التي تتسم بها القصة الطفلية في سورية .

فأين هي من القصة الطفلية في الوطن العربي والعالم . ؟؟ من خلال ما أوردناه عن تلك القصة في الوطن العربي ، نلاحظ أنها قد جاءت متأخرة ، اذ بدأت عندنا بشكل ملحوظ في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات على وجه التحديد .

وكما تقول الكاتبة (ليلى صايا سالم) : ((عمر[1] الكتابة للطفل قصير في سورية وفي الوطن العربي عامة اذا ما قورن بعمره في البلاد الأخرى ، ولكن ما كتب للطفل يعتبر غزيرا ، اذا ما قيس بالفترة الزمنية القصيرة بدءا من الستينات حتى الآن)) .

وهذا يعني أن ليلى صايا سالم ترتكز على الفترة الزمنية المشرقة من عمر الكتابة للطفل متعمدة الابتعاد عن المراحل الأولى التي كتب فيها للأطفال ...!!

وقد تحدثنا منذ البداية عن مصادر أدب الطفولة في البلاد العربية ، وأوجزناه بأنه قد

1- ادب الاطفال بين الوعي والخيال- مجلة الموقف الادبي العددان ١٥٩ - ١٦٠ عام ١٩٨٤ ص ١١٤

اعتمد على الترجمة والاقتباس أو عن التراث المكتوب أو المنطوق ، أو الابتكار الشخصي . وهذه المصادر اعتمدها أدب الأطفال في سورية شأنه شأن أدب الأطفال في وطننا العربي . ولا بد أن نشير هنا الى التفاوت في الكتابات للطفل بين قطر وقطر. وقد نوه الى هذا الموضوع سمر روحي الفيصل في نقده لبحوث أدب الأطفال المقدمة لمؤتمر الأدباء الرابع عشر حيث يقول :

((ان تطور أدب الأطفال[1] في الوطن العربي تطور غير متكافىء ، ففي حين كانت الترجمة أساسا لبدأ الأدب في مصر ، فانها لم تكن كذلك في سورية والعراق ، وفي مقابل تأخر ظهور أدب الأطفال في دول الخليج ، تطور هذا الأدب بسرعة في لبنان وسورية والعراق ومصر وتونس.))

ومن هنا نستطيع القول بأن أدب الأطفال في سورية قد تطور بخطى سريعة متمثلا من الاقتباس والترجمة معتمدا على التراث والابتكار الشخصي . وقد كانت القصة الطفلية في سورية ظاهرة صحية اذا ماقيست بمثيلاتها في الوطن العربي . واذا ما قارنا هذا الأدب في سورية بأدب الطفل

١- مجلة الموقف الادبي العددان ١٥٩ - ١٦٠ عام ١٩٨٤ ص ١٦٥

في العالم نجده مازال يحبو ، وهذا راجع الى عوامل متعددة أبرزها :

ان الكتابة للأطفال في سورية لم تحقق تفرتها النوعية الا في الخمسينات بينما نجد هذا الأدب قد قطع أشواطا بعيدة في العالم قبل ذلك بكثير - إذ بدأ بداياته المتواضعة بعد عصر النهضة بقليل - واذا نظرنا ما صدر للطفل نجده عددا مذهلا ، ((فثمة بلدان متقدمة تقرأ بنهم وتطبع بسهولة ، وبلدان أخرى تنتشر فيها الأمية ، وتعد فيها القراءة ترفا أو أنها لم تتمكن من طبع الكتب)) [(1)] كما يقول الدكتور عبد الرزاق جعفر. والحقيقة ان محاورة علي لسان الدكتور عبد الرزاق جعفر ، يضعنا أمام واقع صعب يتمثل في تفشي الأمية من جهة ، وصعوبة الطباعة من جهة ثانية ، اذا ما أضفنا الى ذلك ، قلة الامكانيات المادية لدى كثير من الكتّاب ، وعدم الاعتناء الكافي بهذا الأدب الطفلي الذي هو سلاح ذو حدين ، لابد من التدقيق فيه ، والعناية به ، كما يلفت انتباهنا الى التفاوت الكبير بين طبقات المجتمع الواحد من

١- الأطفال والكتابة (مجلة المعلم العربي سورية العدد الاول ١٩٨٥ ص ٧٣

حيث استهلاك الكتاب تبعا للوضع الاقتصادي أو الاجتماعي .

ولو ألقينا نظرة فاحصة على ما أوردناه من احصائيات للكتب المطبوعة للأطفال في العالم المتقدم من حيث (الكم والكيف) ، لعرفنا الى أي مدى وصلنا في هذا المضمار .

والجدول التالي يبين سير حركة نشر كتب الأطفال في سورية من قبل أكبر مؤسستين ثقافيتين هما : وزارة الثقافة والارشاد القومي واتحاد الكتاب العرب في سورية .

حركة نشر أدب الأطفال في وزارة الثقافة والارشاد القومي . (1)		ـ حركة نشر أدب الأطفال في اتحاد الكتاب العرب في سورية .	
السنة	العدد	السنة	العدد
1960	1	1970	•
1971	1	1971	•
1972	1	1972	•
1973	1	1973	•
1974	10	1974	•
1975	4	1975	1
1976	5	1976	4
1977	4	1977	7
1978	10	1978	4
1979	17	1979	8
1980	20	1980	9

1ـ جريدة الثورة ; العدد 7086 تاريخ ـ 1986/5/21 ص 8 دمشق .

(تتمة الجدول السابق) :

السنة	العدد	السنة	العدد
1981	24	1981	5
1982	9	1982	6
1983	8	1983	6
1984	14	1984	1
1985	•	1985	2

- ملاحظة : عدد النسخ التي تطبع من الكتاب الواحد تتراوح بين الألف والخمسة آلاف نسخة .

ولا يخفى على متتبع أدب الأطفال في سورية وأنه بالقياس الى ما كتب في وطننا العربي ، أو الدول النامية. حقق تقدما ملحوظا رغم قصر عصره. وقلّما نجده الأن يعتمد على الترجمة أو الاقتباس، واذا ما اعتمد عليهما حاول تقريبهما من الواقع الذى يعيشه الطفل .

وقد اعتمد كثير من كتّاب القصّة الطفليّة على التراث، لأ ن التراث مادة غزيرة لتأليف قصص الأطفال ، وكثيرون أولئك الذين قاموا بعملية الانتقاء، وقد نشر الكثير من هذا التراث، الا أن التقيّد بالمحتوى الأصلي هو الغالب، وهذا في رأينا يمكن أن يشكّل خطورة اذ يربط الطفل بماضيه وحسب ارتباطا وثيقا فينفصل عن حاضره...

وهنا يجب على كتّاب القصّة الطفليّة أن يخرجوا التراث من الخصوص الى العموم كما فعل شكسبير في شخصياته التاريخيّة (الملك لير ، مكبث، عطيل ... الخ) . فقد استطاع أن يفلت من الزمان والمكان .

وقد اعتمد كتّاب القصّة الطفليّة في سوريّة على الابتكار الشخصي ، فمنهم من وفّق ومنهم من أخفق ، وسنرى ذلك واضحا من خلال دراستنا التطبيقيّة لقصص الأطفال في سوريّة.

ومهما يكن من أمر ، فالقصّة الطفليّة في سوريّة، قد حاولت أن تعطي وجها متميّزا ، وملامح يمكن أن تكون أكثر وضوحا وعمقا في المستقبل ، اذا ما ازداد الاعتناء بهذا الأدب، وكثر الالحاح عليه، وظهرت مجموعة من النقّاد المتميّزين الذين يقوّمون النتاج الأدبي بعيدين عن الأنا الخاصّة والذاتيّة المفرطة ، التي من الطبيعي أن تعوق تطوّر هذا الأدب .

محدثة دويا كالرعد)) ..

وربما قصد الكاتب أن يمسّ إحساسنا بمرآتها السحريّة هذه ... إلا أن هذا الغموض في المعنى الذي ذهبنا إليه ، ليس بمقدور الطفل أن يدركه وحبّذا لو أن الكاتب صوّر لنا موقف الملكة موقفا رافضا لكل ما هو خرافي .

بعد هذه النقلة ، واكتشافها لوهميّة اعتقادها ، وذلك بتهشيم المرآة تحطيما للخرافات ... التي كانت تتغلغل في داخلها ، وتستلب ارادتها فتسيء معاملة الآخرين ...

كما أن لنا مأخذا تربويا على القصة وذلك من خلال الحوار بين حسان والسمكة ، اذ قالت : ((سأنتظر(١) في الشبكة حتى يحضر أبوك ... وعندما يرجع أقوم بحركات قوية عنيفة فتتظاهر أنت بأنك غير قادر على امساك الحبل ، وبأنك عاجز عن الاحتفاظ به في يديك فتتركه)) . وهذا يعني تعويد الطفل على الكذب والخداع ، هذا من حيث المضمون ، .. فماذا عن الشكل ؟؟ .

هناك بعض الكلمات الناقصة كـ ((الأنهُر)) مثلا . كما وردت بعض الكلمات الثقيلة على سمع الطفل ونطقه ككلمة (مغتاظة) . ولا يفوتنا أن ننوّه الى أن بعض

١- المرآة السحرية ص٤٧ -

التراكيب والجمل قد جاءت ضعيفة .... مثال ذلك قول الكاتب عرفيما : ((فتد (١) تشمهرت هيئته ، لثيابه الأنيقة)) .

.. هل يعني هذا أن القصة جاءت خالية من الايجابيات ؟؟ طبعا ...لا ... اذ تتوفر عنصر التشويق للطفل من خلال البطل (خسان) .. ومن البديهي أن يتوفر الخيال لأن القصة خيالية بطبيعتها .

أما ما يتعلق بجمل المفردات المستعملة ، فقد كانت فنية ، وسهلة الفهم ، ما عدا بعض الألفاظ المتسربة خلسة في جنح الظلام ... !!

((الأتجر - من غشيته - طفق)) بالاضافة الى خطأ لغوي طفيف (تذكير كلمة أى) قبل المؤنث (أىّ سنة) . والصحيح - أية سنة .

وأجمل ما في القصة انها تنمي النزعة الانسانية في نفسية الطفل ، كما تدغدغ شعوره وتحثه على الرفق بالحيوان ....!!

ولننتقل مع الكاتب عادل غضبان الى قصته الثانية (البلبل)(٢) ..

يدور فحواها حول محورين : الأول ملك مستبد يقرطم

١- المرآة السحرية ص ٤٧

٢- المكتبة الخضراء للاطفال ، البلبل : المنشورة عام ١٩٧٦ دار المعارف - القاهرة

بالقوّة وجوب التقيّد بما يأمر به مهما كانت النتائج ، والثاني بلبل يتميز بصوت رائع جميل ، افتضحته الحاشية بناء على أوامر ذلك الملك المستبد ، وأهدته له ، فوضعه في قفص من ذهب ...!!

وجزئيات القصة تتحدث عن هروب البلبل الذي لا ينام الملك الا على صوته الشجي، مما اضطر الحاشية لوضع بلبل صناعي يشبه صوته الى حد ما صوت البلبل الهارب ... كما تتحدث أيضا عن مرض الملك مرضا مبرحا بسبب شقاؤه ... وينقلنا الكاتب بعد ذلك الى إكتشاف الملك هروب البلبل وبكاءه المر عليه ، وما أبى عادل ضنبان في نهاية المطاف ، الا أن يشفى الملك المريض منه ..

وقارىء هذه القصة يرى انها تظهر ظلم الملوك وقسوتهم حتى على أقرب المقربين ، حيث يقول الملك في موقع من القصة (اذا لم يحضر البلبل ، فسوف أدوس بقدمي بعد العشاء كل رجل من رجال حاشيتي) ...!! ورغم هذه النقطة المشرقة في القصة فهي في موضع آخر تعلّم الطفل الخضوع والخشوع للطغاة .. فلنسمعه يقول على لسان البلبل الذي يشكل المحور الثاني في القصة ...

((ان صوتي أجمل ما يكون في الحقول والغابات[1] غير انني أقبل الدعوة خصوصا لمشيئة الملك)) . وكذلك ((.... أجاب البلبل : على الرأس والعين ... ان رغبات الملك أوامر نلبيها طائعين ... مسرورين)) .

كما يجعل الملك يبكي متأثرا بموقف عاطفي اذ يقول الكاتب ((قال البلبل فقد رأيت الدمع[3] ينهمر من عيني الملك)) عندما كان مريضا .

وهذا شيء معقول لو ان الهدف من ذلك اخضاع، جبروت الملك تحت وطأة آلام المرض المبرحة ، ولن يدرك الطفل ذلك ، بل ربما تبادر الى ذهنه ان الملك شعر بأوزاره التي لا تعد ولا تحصى ، وقسوته على رعيته ، تتراجع في لحظة ضعف.. وهذا في رأينا لا يفيد شيئا لأن من شب على شيء شاب عليه ...!!

1– البلبل — ص 19
2– البلبل (قصة واحدة) . — ص 18
3 – نفس القصة — ص 22

ومن كتاب القصص الاقليمية في بلدي ... عادل أبو شنب فقد أصدرت له وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٧٦ (حكايات وحواريات الأطفال) ... وأول هذه الحكايات ؛ (حكاية من السودان)(١).

بطل القصة رجل يتقن لعبة الابر ... استأذن مرارا للمثول أمام يدي الملك الا أنه فشل ، مما جعله يفضي برغبته في أن يعرض لعبته عليه وعلى حاشيته فيسرهم جميعا . وافق الملك ... فأدى لعبته بإتقان حيث أدخل كل ابرة في ثقب سابقتها وهي في الهواء ، فبرهن بذلك على براعته في التصويب ... وانتصب عمود من الابر أمام الجميع .. وفعلا استطاع أن يدخل السرور الى القلوب فكافأه الملك بثلاثمائة دينار من الذهب ، وكاد الرجل أن يطير فرحا ... وبينما كان يهم بالخروج ((ناداه الملك قائلا)) يجب أن تحصل على المكافأة الأخرى ، وتساءل عن فرحته وسروره عندما سمع بذلك وما هي الا لحظات حتى بدأ الرجل يرتجف خوفا . لأن الهدية الثانية كانت ثلاثمائة جلدة . ولتوضيح ذلك ، قال الملك : مكافأتك بالدنانير مقابل

١- مجموعة معطيف الاخفاء ص٩

بمراعاتك ، والجلد لأنك أضعت وقتك في عمل لا فائدة منه للآخرين ....!!

هذه القصة خالية من عنصر التشويق ولا مجال فيها يسمح لخيال الطفل أن يسرح في أرجائها ، كما لا يوجد واحة يستريح فيها طفلنا ولو قليلا .. وهي خالية أيضا من المفردات الجديدة والتي جاءت جملها بسيطة معروفة ... وتصلح هذه القصة لسن السابعة اذ تعلم الطفل عدم اضاعة الوقت في عمل لا فائدة منه ... قال الملك ((ثم أمرت بجلدك عقابا لك على الوقت الذي أضعته سدى ، وأنت تتقن لعبة لا تعود بفائدة على أحد)) .(1)

أما القصة الثانية من نفس المجموعة فهي تحمل عنوان : مخطف الاختفاء (٢) (حكاية من اليابان) .

يتلخص مضمون هذه القصة في معطف سحري عجيب يملكه جني ، سمع خبره هيكو يشي من صديقه (ياما كانو ياما) فقرر أن يمتلكه بأية وسيلة . حاول صديقه أن يثنيه عن عزمه فلم يفلح ، وبعد حوار بينهما اقتنع (ياما كانو ياما) بمرافقته الى مكان المعطف . ولما وصلا منعهما الجني في البداية ، فلجأ هيكو يشي للحيلة التي كان عمادها

1- مجموعة معطف الاخفاء – ص 11 .

٢- مجموعة معطف الاختفاء ص ١٠٧

تلك القصبة التي يحملها ، فراح ينظر من أحد طرفيها قائلا على مسمع الجني : أنني أستطيع أن أرى العالم بواسطة قصبتي السحرية .. دهش الجني ... وأبدى رغبة شديدة في الحصول عليها ولكنه رفض ، وبعد أخذ ورد ، تمكن هيكوبشي بأن يقايض قصبته بالمعطف ، وأن يفر هو وصديقه في اللحظة المناسبة .

وبعد وصوله الى بيته أشعر زوجته بأنه يستطيع أن يحضر في الحال كل ما تتوق اليه من طعام وشراب ولباس ... وبالفعل نفذ ما أرادت مشترطا عليها أن لاتكثر من الأسئلة ، وطلب منها اذا سألها الجيران عن النعيم المستجد أن تجيبهم بأنه ورثه عن جده ، وفشلت الزوجة في انتزاع الحقيقة من فم صديقه ، وأصبحت تخشى زوجها وتشك في تصرفاته وأفعاله معلنة ذلك لصديقه (ياما كانو ياما) من خلال سياق الحوار التالي :

الزوجة : بدأت أخاف(1) من هيكوبشي .

ياما كانو ياما : لاتخافي

— أتعلم شيئا عن ؟؟.

— كلا أنا لا أعلم شيئا .

— انك تعرف سره يا (ياما كانو ياما) ..

1- معطف الاخفاء — 123_UP.

ـ اننى لا أعرف شيئا قط.

ـ سأكتشف كل شيء بنفسي اذا .. انني أعرف كيف أتصرّف .

ـ ذنبك على جنبك اذا اكتشفت سره .

ـ انّه صاحب سر اذا ؟

ـ أرجوك أنني لم أقل شيئا .. انني لم أزركم أيضا .الخ ...)) .

وتشاء الظروف أن يزور صديقه تاركا معطفه. ولمّا رأته رشا باليا أحرقته على أمل أن يشكرها زوجها على صنيعها . وعندما عاد الى البيت جنّ جنونه ... (وبقدرة قادر) يهتدي الى رماد المعطف ويدهن به جسمه ويبدو كالشبح لا يظهر منه شيئا .

وفي القرية نزل الماء على وجهه فكشف نصفه ، بعد أن شرب ، فصاح الخادم : ((لقد خرجت الأشباح من جديد ..))(1) ، ثم تابع صياحه قائلا : ((انني أعرف هذا الفم والذقن)) ، ولن أخاف منك أنت هيكويشي ، وقبض عليه ، ثمّ قدّمه لأهل القرية ليلقى جزاء العادل بعد أن روّعهم أياما وأيّاما . وسرق كلّ شيء منهم .

ولمّا قال له صديقه : لقد حذّرناك ولم تصغ لنا ، وسرت في الطريق الذي يودي بك الى التهلكة ....

1ـ مجموعة معطف الاخفاء ـ ص130 .

قال : لقد فاته ان الانسان لا يمكن أن يحقق رغباته وسعادته الا اذا عمل عملا مفيدا ...

أما زوجته فقالت : كان يجدر به لو اشتغل ، ولا نستطيع أن نفعل له شيئا سوى ((أن نحمل له الدائم البائس الى السجن .)) (1)

لقد اعتمد الكاتب الأسطورة في قصته - المعطف - وبناء أحداثها حيث محورها الانسان ... الا أنه ضحى بالمفاهيم التربوية في سبيل الحبكة القصصية والاثارة رغم محاولة الاستعاضة عن ذلك بلغة الحوار الطويل ، بين هيكويشي وزوجته المتعلق بتدبير كذبة عن مصدر ثروته . كما أن عنصر التشويق جاء فاترا رغم حرص الكاتب على خلق الصراع بين شخصيات قصته ، وهذا يكمن في نقل الكاتب البطل من الانتصار والقدرة على فعل شيء بواسطة المعطف الى موقف محزن ضعيف يطلب النجدة من زوجه وأصدقائه ، رغم معرفته بعدم جدوى ذلك .

ولقد جاء الخيال سلبيا بعلم الطفل احتراف الحيل والغش والسرقة . الزوجة : ((واذا شك أحد في أمرنا ... كيف نبرر له ذلك)) . (2)

هيكويشي : ((قولي ان هيكويشي قد ورث ثروة طائلة

1— معطف الاختفاء — ص 132 .

2 — نفس المرجع — ص 121 .

الـزوجـة : ورثتهـا مـمـن ؟ .

الـزوج : ورثتهـا عـن جـدي

الزوجـة : لكـن جـدك مـات منذ زمـن بعيـد

ميكوبشـي : قولـي اذا أن لميكوبشـي أكثر من جد واحـد ( )) .

ولا أظـن بهـان عقـوبـة هـذا الغـش والخـداع بلغـت

نظـير الطفـل وبردعـه عـن التمسـك بمثـل هـذه الحيـل .

ولـنا مـأخـذان آخران علـى القصـة ..

الأول : ازدواجيـة صـديـق البطـل فـي السلوك ، فهو صـادق

في دور من أدوار القصة ، وكاذب فـي دور آخـر مـع

زوجـة البطـل وهـذا ينفـي مايـريـده الكاتـب مـن

تعـويـد الطفـل علـى كتم سـر صـديقـه .

أمّـا الثـانـي : فيتعـلـق بـالمعـطف بعـد الحرق .. اذ كيـف

استطاع البطـل أن يكتشـف قـدرة رمـاد المعطف

علـى السحر ..؟؟ ((ماذا أرى ؟ [(1)] للـرماد نفس الأثـر

رمـاد المعطـف قـادر علـى الاخفـاء أيضـا ؟.... .

الرماد لا يـؤثـر الا علـى الجسـم)) ولدينـا ملاحظـة

حـول شـكل اللـوحـة .. فقد كانـت الرسـوم معبـرة

عـن مشـاهـد الحـوار القصصي الا ان الـوان

الغـلاف باهتـة وجامـدة .. علما بـأن قـدرة

المعطـف ، تفـرض أن تـكون الألـوان صـارخـة كـي

1ـ معطـف الاخفـاء ـ ص 129 .

تشعر الطفل بقدرته تلك .

قصة أخرى للكاتب عادل أبو شنب عنوانها :
(ميمون هاويا) . وخلاصتها : تعليم ميمون هواية (1)
جمع الطوابع .. وهي هواية جيدة من حيث
فائدتها الاطلاعية ، وتنمية المعرفة . فمن خلالها
يستطيع الطفل أن يتعرف على بلدان كثيرة ويستوضح عن
أماكنها بطريقة أو بأخرى . وجمع بعض المعلومات عنها
ولقد تعامل الكاتب في أسلوبه مع الطريقة الحوارية ،
فجاء الحوار قصيراً وسهلاً ... وكانت فائدتها تعليمية
من حيث المبدأ ... الا أننا من خلال قراءتنا الدقيقة
لهذه القصة ، وجدنا أنها تعلم الطفل الأنانية ، والتطلع
دوما الى (أناه) الخاصة ، واستعمال شتى الوسائل
في سبيل ذلك . فلنسمع الى عادل أبو شنب
يقول : على لسان ميمون : ((دخلت مكتب البريد (2)
المركزي ، أمس لأرسل رسالة الى خالتي المقيمة
في أفريقيا لكي أستطيع الحصول على طابع افريقي)) .
أليس الأفضل أن يقول مثلا (أحب أن أبعث رسالة
الى خالتي في افريقيا لأعبر لها عن شوقي
ولأطمئن عن صحتها ، وهي مناسبة أيضا ، لأضيف
طابعا افريقيا الى المجموعة التي تنتظر مجيئه
بشوق ولهفة ، وبما فرحتي عند تسلمي هذا الطابع

1- مجلة أسامة السورية للأطفال رقم ١٦٤
الخميس ١٨/١١/١٩٨٢

2 - المرجع نفسه .

وهو يحمل معه حكايا خالتي وأخبارها ....؟؟
(1)
وفي موضع آخر يقول : ((عندما شاهد ميمون الطوابع الملتصقة على أكوام الرسائل في البريد ، سال لعابي ، فالطوابع مغرية ، ولكن كيف آخذها دون أن يشعر أحد ....؟؟)) .

ألا تعلم هذه العبارة الأطفال السرقة في وضح النهار ؟ رغم اعتقادنا أن الكاتب يهدف من وراء ذلك ترغيب الأطفال بهذه الهواية - الا انه ضلّ الطريق ...

واننا لفي غنى عن تعليم الأطفال هذه الهواية اذا كانت السرقة أو الايحاء بها هي الواسطة في تنميتها ؟ .

ولنمض مع نفس الكاتب في أسطورة من اليونان
(2)
عنوانها : (ديدالوس) :

يدور موضوعها حول (ديدال) البارع في النحت ، أما (بروكس) فهو ابن أخيه الذى تلقى علم النحت على يديه .

ولقد تفوق بروكس التلميذ على أستاذه في هذا العلم مما جعل الأستاذ يحقد على تلميذه . تماما كما فعل ابراهيم الموصلي بزرياب . وقد عبّر ديدال عن ذلك بتدبير مؤامرة دنيئة ، اذ اصطحب معه ابن أخيه الى شاطىء البحر ، وألقاه جوفه . ومنذ ذلك

1– مجلة سامر للأطفال رقم 164 .
2 – مجموعة معطف الاخفاء – ص 13 .

الحيمن وشبح الخوف والتسلق بملاحقته في كل مكان مما جعله يفر من وجه الناس ويلوذون بعيدا مع ابنه الصغير (ايكاروس) الى ملك كريت الذي لقي حظوة كبيرة عنده ... وهذه الحظوة لم تبدم طويلا ...

فيهما هنا أمر الملك بسجنه مع ابنه في زنزانة مظلمة ...

ومن خلال الطيور المحلقة على الزنزانة استطاع أن يقنع الحارس جمع بعض هذه الطيور ، فصنع منها أجنحة له ولابنه ... وطارا هاربين من ذلك السجن المقيت ... الا أن الابن سقط من الجو ميتا ...

هدف الكاتب من القصة تعليم الطفل الابتعاد عن ارتكاب الجرائم أن عواقبها وخيمة ، كما هدف أيضا ابعاده عن الغدر والحسد ... وهذا شيء جيد ، ولكن كان من الواجب أن ينال الأب جزاءه شخصيا وليس الابن ((وكأن الآلهة كانت تتربص بـ (ديدال) حتى تنتقم منه على ما فعل ... الخ فقد انصهر شمع جناحي (ايكاروس) وهوى من قمة السماء)).

أما الخيال فهو متقد شائب رغم الأجنحة والطيران ...(1) كما استخدم المفردات البسيطة ((اسمع لا تعلو - يابسا انطلق .. الخ))

وهنالك ملاحظة لابد من الاشارة اليها . اذ أساء الكاتب الى رسالة المعلم من حيث لا يشعر ...

1- مجموعة مختلف الاخفاء - عادل أبو شنب - ص 16 .

وكأنه تناسى ان المسيح كان معلما . وكذلك النبي الكريم ...

بعد عادل أبو شنب نصير الى مجموعة ((أحزان الغزال الأشهب)) (1) للكاتب أيوب منصور ومنها قصة ((ماذا قالت النحلة)) (2) ؟

هذه القصة مجموعة من الأقوال على لسان الذبابة والصرصور والبعوضة ،فالذبابة تعتقد أن ليس في العالم من يستطيع مجاراتها في ((الطنين)) ، واكتشاف الأماكن القذرة ..!!

أما الصرصور فهو على يقين من أن جميع الطيور قد تعلمت منه الغناء ..

ويأتي دور البعوضة لتعلن على الملأ أنها أفضل الجميع .. فهي بما برها الحادة تدغدغ بشرة الناس فتدخل السرور الى قلوبهم .. !! ناهيك عن استسلام الجميع لها ، فيضطرون لرفع ناموسياتهم البيضاء .. فوقهم خوفا منها .. !!

وتصمت النحلة في هذه القصة ، مكتفية بأن تنتقل من زهرة الى زهرة ، حاملة على كتفها (جرة) مملوءة بالعسل الشهي .. !

وهكذا تنتهي القصة .. والتي نرى أن لغتها بسيطة

1- مجموعة قصصية من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٧٩ بمناسبة العام الدولي للطفل .

٢- نفس المجموعة - ص 5 .

مألوفة جدا غير أن سرد الكاتب للأقوال ليس كافيا ، اذ لم يبين الأذى والضرر اللذين تلحقهما كل من الذبابة والبعوضة بالآخرين . وقد وقع الكاتب هنا في خطأ فادح ...لأن بعض الأطفال سيصدقون ما قالته البعوضة حول تسليتها للآخرين ..!! وقالت البعوضة : ((أنا أفضلكم جميعا ، أدغدغ وجوه الناس بابرى الحادة ، فأدخل السرور والبهجة الى قلوبهم)) .

(٢)

((أما النحلة فلم تقل شيئا ، بل اكتفت بأن انتقلت من زهرة الى أخرى وهي تحمل على كتفها جرة مملأى بالعسل الشهي)) .

وكما نرى فقد اكتفى الكاتب بالتجريد بالنسبة للنحلة . ويقينا أن الطفل لن يستوعب هذا التجريد .. ومما لا يدع مجالا للشك .. ان الكاتب كان يرمي من وراء ذلك ابعاد الأسلوب المباشر ، نقول ..!!

أما قصة (الديك(٣)) فتتألف من حوار يدور بين ثلاثة ديوك اجتمعت على مزبلة)) وتنازعت على قتها هجم الديكان على الثالث ... وتناثر

١- مجموعة الغزال الأشهب ص 7 .

٢- المجموعة نفسها ص 7 .

٣- مجموعة الغزال الأشهب ص 9 .

الريش في كل اتجاه .. واستمرت المعركة الى أن عم الظلام ... فاقترب الذئب متسما بخبث ، وطلب من الديكة الكف عن العراك قائلا : ان القاضي جاء ليحكم بينكم بالعدل ..

وفي استجوابه للديك الأول عن سبب العراك ، قال : لقد حاول هذا اللعين منعي من الوقوف على قمة المزبلة لأصيح على كيفي ..!!

أما الثاني فكانت اجابته : ان الحق لي في الوقوف لأنني أكبر سنا منهما .

وقال الثالث : الحق لي لأن مخالبي أطول ..!!

فقاطعه الديك الأول صائحا : ان عرفي أضخم بكثير ، وصوتي أقوى .. فابتسم الذئب قائلا : ان القصّة لمن يعرف ممّ تتكون ..؟! وأعطى كل واحد جوابا ... فاعترض الذئب بحزم قائلا : لقد فشلتم جميعا في اعطاء الجواب الصحيح ،لأن المزبلة تتألف من عظام الديوك التي تختلف فيما بينها وتتصارع على القمة ..!!

والقصّة كما نرى تماكي رمزية كليلة ودمنة ، لا بين المقفع ، وسلبياتها كثيرة أبرزها ..

ان الديكة لاتهتم خارج أقفاصها بعد الغروب ......

أمّا تعريف المزبلة الذي جرى على لسان الذئب فيرسخ في ذهن الطفل معنى خاطئا للمزبلة ... ناهيك

عن حكم القاضي الضبابي، الذي لم يعط النتيجة المتوقعة ، وهذا الحكم الايحائي المتضمن لمعنى بيت الشاعر العربي

ـ تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسّرا

واذا افترقن تكسرت آحادا .

بعيدة عن مدارك الطفل ... اذ من المسلم به ان يتذوقه فهم المحسوس لا المجرد ...!؟ ((اعترض الذئب[1] بحزم وهو يقول : لم يفلح أحد منكم باعطاء الجواب الصحيح .. ان المزبلة أيها السادة الديوك ، تتألف من عظام الديوك التي تتصارع للوصول الى قمتها (1))) .

ونتنقل في ثنايا المجموعة الآنفة الذكر فتطالعنا .قصة عنوانها)) .

فتاة أسمها الحريرية[2] ملخصها : ان ثلاثة أشخاص تعرضوا لظلم الملك الطاغية وهم : النجار الذي طلب منه الملك أن ((يصنع له تابوتا يتسع لجميع سكان المدينة)) كما طلبت ابنة الملك من الثاني وهو (الخيّاط) أن يصنع لها ثوبا نادر الموجود ، وبعد أن أنجزه في بضعة

١- مجموعة احزان الغزال الاشهب ص١٣

٢- مجموعة احزان الغزال الاشهب ص١٥

٣- مجموعة احزان الغزال الاشهب ص١٧

أعوام رفقته وأسرت بهتر أصابعه ...

أما ثالثهم وهو (الساحر) ، فقد طلب من الملك أن يحضر كلابه الجديدة وأن يعطيها الى فهود حقيقية ، مما اضطره للذهاب الى الغابة بصحبة أصدقائه واحضار عدد من الفهود ، هجمت على الكلاب فمزقت أجسادها ، مما أثار حفيظة الملك عليه .. فأصدر أمرا بقطع رأس الساحر الذي تمكن من الهرب والنجاة بنفسه واجتمع الهاربون الثلاثة في منارة بعيدة خوفا من أن ينالهم عقاب الملك .

وإذا أمعنا النظر في هذه القصة نجد أنها تصلح لسن نهاية المرحلة الابتدائية ... فاللغة غنية بالمفردات الجديدة والتعابير المفيدة ، والقصة بعيدة عن الواقع ... غارقة في المبالغة ، والخيال كما يتصف أبطالها بروح الانهزامية ؛ وهذا مايتركه هروبهم من الجور والظلم ...

أليس هذا مأخذا كبيرا على الكاتب ؟ اذ كان لزاما عليه . أن يضع أبطال القصة في موقف أكثر صرامة من فتاة أسماها الحرية ... !! كما يجب أن يقاوموا ما تعرضوا اليه من قبل الملك الجائر ، بدلا من الاستسلام والهروب لكي يجعل حبكة القصة الدرامية معتمدة على حب المغامرة والتحدي ونزعة الرفض ومقاومة أشكال القهر الاجتماعي ..!؟

وقد أعطى الكاتب مثلا - القوة الخارقة للساحر.
وهي بث الروح في الجماد (قطعة الخشب) ،
((حتى تمكن في النهاية من أن يمنت الحياة[1]
في التمثال)) وهذا لا يكون الا لله جلت وعلت
قدرته .!!!

ألا يؤدى هذا المنحى في نفس الطفل الى تقديره
للسحر واعتقاده به وبقدرته الخارقة المزعومة ...!!
وأجود ما في القصة تلك التعبيرات الهادفة
التي وردت لتحث الطفل على التخلق والتمسك
بهما مثل ((مدينة السلام)) . ((شجرة الحق ،
الحرية)) .

وإذا أمعنا النظر في كتابة أيوب منصور
نجد أن هذا الكاتب يتطور بخطه .... وهذا
راجع الى محاولته استيعاب عالم الطفل
تدريجيا ... ولاثبات ما ذهبنا اليه فاننا ندرج
هنا قصته نجمة الصبح[2] :

تدور هذه القصة حول يوم الأرض ... اذ
أخبرت نجمة صديقتها رباب بأن الفلسطينيين في
هذا اليوم سيتظاهرون .... وذلك من خلال حوار
أجراه الكاتب بين الحديثين ... والذى كان ثمرة

1- مجموعة أحزان الغزال الأشهب . ص 21 .
2- مجموعة نجمة الصبح - ص 5 - منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في
دمشق ، عام 1976 .

قرار أسرة المدرسة المقاومة للاحتلال على أن تأخذ كل واحدة دورها في هذه المواجهة ... ويجسد الكاتب المظاهرة بتجمع بشري غاضب ثائر على الظلم والعدوان .. وقد حرص أيوب منصور على أن تنطلق بطلة قصته نجمة صوتها مرددا ((يا موطني الهوى ، يا موطنيا ... ضرب الخناجر ولا حكم النذل بيّا))(1) معبرة بذلك عما يتأرجح في الصدور من ثورة عارمة ضد المحتل ومجسدة حب الوطن المنتظر بفارغ الصبر عودة أبنائه .... ويأبى الكاتب إلا أن تصرع بطلة القصة نجمة برصاص الغدر ... فتسقط كشهب من السماء ... وتستمر المظاهرة في سيرها حتى وصلت بيت نجمة ، حيث تقدمت تلك المعلمة السمراء الشاحبة إلى والد نجمة فتقول له : عمي نجمة غابت عنا ((وطلعت في بيت فلسطين))(2) ومنذ ذلك اليوم وأم نجمة تجيل نظرها في السماء الصافية وهي تبحث من أعماقها والدموع تترقرق في عينيها : ها هي نجمة ... نجمتنا كبرت بما أهل ببلدنا ... طلع الضوء ... !! وكأن الكاتب في نهاية قصته يردد مع الشاعر الفلسطيني محمود

1- نجمة الصبح : أيوب منصور ص ٧
2- نجمة الصبح ص ٨

درويش قوله :

وطني سنبل عرق

وعلى قناطرة المرسدان انسان يموت

وظلام يحترق))

وكما نرى ... فالقصة تومىء تبعث في نفس الطفل حب الوطن ، والتضحية في سبيل حريته وكرامته .

وقد ألبس الكاتب قصته غلالة شفافة من الخيال والرمزية .

((نجمتنا الصغيرة صارت نجمة كبيرة - نجمة صبح بيا أهالي بلدنا طلع الضوء !)) [1] ولعل توفيقه في اختيار اسم البطلة لعب دورا كبيرا في حياكة هذا الوشاح ... كما كان الحوار فيها هادئا ..... شاردا - مع ان القصة تتطلب الحماس الثوري المقوي !! ...

ولست أدرى لماذا تخلى الكاتب عن بطلته بانهاء دورها ... أيريد أن يجسد قول عمر أبي ريشة :

تقتضي البطولة أن نمد جسومنا

جسرا فقل لرفاقنا أن يعبروا

اننا نجهد بقاء البطلة على قيد الحياة تضرب مع سيكولوجية الطفل ... وبهذا لنعلمه حب المغامرة والصراع والتحدى لكل ما هو ظلم وباطل . ومن سلبيات

١- نجمة الصبح ص ٨

(1)
هذه القصة أيضا استخدام الكاتب تركيب ((برد الحقد ، الذى سيحطم جماجمهم)) . فالحقد البارد في رأينا لا يمكن أن يحطم شيئا ... !! كما ذكرت في القصة بعض التعابير التي وضعت في غير مكانها . كقوله :
((أنا أيضا سأشترى (2) شدا مديه لأحملها في المظاهرة ، من ليس له أصحاب تأكله الذئاب)) ...
ومن ايجابياتها ... التشابيه المناسبة والمعبرة مثل :
((يحمد حين تسقط نجمة كشهاب على الأرض)) كما جاءت الخاتمة موفقة أيما توفيق فهي تثير حماس القارئ للثأر والاستماتة بطريقة غير مباشرة لتحرير فلسطين .

ومن مجموعة نجمة الصبح لنفس الكاتب قصة عنوانها ((الثعلب البصرى (3))) وهي تحكي لنا : أن ثعلبا صغيرا كاد يموت جوعا ، فشاهده الراعي الذى أشفق عليه وأطعمه قليلا من طعام كلابه ، دون أن يأبه لاحتجاج الكلاب ولم يسمح لأحد منها أن يعتدي عليه ... وجعله يرافقه أينما ذهب ظنا منه انه بصري .
وقد استطاع الثعلب الوديع ... !! بألاعيبه البهلوانية المضحكة أن يكسب ود الكلاب ، حيث وصفه كبيرها انه وديع بصرى ، خفيف الظل ... ولكنه أردف أن الكلب تعود أن لا تخدعه المظاهر على عكس الراعي الذى

1- نجمة الصبح - ص 7 1
2 - نجمة الصبح - ص 6 .
3 - نجمة الصبح - ص 75 .

أنهكت الأيام قصر نظره ، ومرت الأيام ... والثعلب الصغير يفكر بحيلة يستطيع بواسطتها التهام الخراف الشهية ، فتسلل في احدى الليالي الى (وجار) الذئب وأرشده الى مكان القطيع ، واتفقا على أن يسوقها الى وجاره في حين يعمل الثعلب على إلهاء الكلاب ، وبحث الراعي - بعد أن تنبه - عن قطيعه فلم يجده ، الأمر الذي جعله يطلب من الكلاب أن تبحث عنه ، دون جدوى ...!! لولا أن الثعلب أرشدها الى المكان بعد أن تيقن أن الذئب قد قتل العديد من الخراف .

دارت معركة حامية خسر فيها الطرفان مما جعل الثعلب يغتنم الفرصة ويبحث عن ثعالب أخرى وعندما عثر عليها صحبته الى المكان ، فحملت الخراف المذبوحة ، وأعدت طعاما شهيا ، وأنهى الكاتب قصته بكذبة مرحة على لسان الثعلب الذي قال لجماعته : ويحكم اسرعوا حالا ((لقد داهمنا الراعي[1] الكسول الأحمق)) فهربت الثعالب عند سماعها ذلك وانفرد الثعلب بالتهام الطعام والاستغراق في الضحك مرددا بأعلى صوته هل تصدقون أن راعيا مثل الراعي الكسول الأحمق يأتي ليبحث عن قطيعه في المغاور والكهوف .. تعالوا وتابعوا طعامكم

---

١ - مجموعة نجمة الصبح ص٧٦

وتنعموا بـه ....))

ومن الواضح أن القصة تعليمية وأسلوبها غير مباشر على غرار (كليلة ودمنة) وهي تعلم الطفل أن لا ينخدع بالظاهر ، كما تعلمه أيضا أن يكون حذرا من عدوه مهما تظاهر باللطف والوداعة ، وقد جاءت مفرداتها موحية ومناسبة لموضوع القصة وأبطالها ((ينتحب - يتودد ، البهلوانية - ودبها ، التهام تبلل - يقبظ المخ))

أما قهقهة الثعلب وهو يأكل - في نهاية القصة يمكن أن تعوّد الطفل عادة غير صحيحة وهي الضحك مع الطعام وبالتالي يمكن أن تعترض مثل هذه العادة الطفل الى الخطر اذا ضحك وهو يبتلع طعامه ...

((وما هي الا لحظات حتى كانت الثعالب قد توارت في أعماق الجحور ... بينما شرع الثعلب يقهقه ضاحكا ويأكل على هواه ..))[1]

ونرافق الكاتب مراد السباعي في مجموعته ((هدية عيد الأم)) . وهذه التسمية من باب تسمية الكل باسم الجزء على سبيل المجاز المرسل ، فقد أطلق عنوان احدى القصص وهو : ((هدية عيد الأم))[2] على المجموعة كاملة ، ويحسن بنا أن نتأمل قصة هذه بشيء من

١- مجموعة نجمة الصبح : الثعلب الجريء ص ٧٩

٢- مجموعة (هدية عيد الأم) ص ٩ نشرتها دار الانوار للطباعة دمشق عام ١٩٧٨

التحليل والنقد ...

تتضمن القصة موقف ثلاثة أخوة قرروا أن يقدموا لأمهم هدية في عيدها معتقدين أن الليرات الثلاث التي يملكونها كفيلة بأن تشترى أجمل الهدايا وأثمنها فلا عجب أن يتوقفوا أمام واجهة محل تجاري فيها ساعة فضية ثمينة ، ولم يتمكنوا من معرفة سعرها لزجرهم من قبل صاحب المحل استهزاء بحالتهم ، فانتقلوا الى محل آخر عرضت فيه حقيبة نسائية جميلة ، حاولوا شراءها أيضا ، وكان صاحب المحل على درجة كبيرة من الخلق والذوق ، فعاملهم معاملة لطيفة ، حينما شاهدهم عازمين على الشراء ، بادرهم بالسؤال كم تملكون من النقود ؟! فأجابوه بصوت واحد : ثلاث ليرات . أطرق بحدهما دقيقة ثم لفها وناولهم إياها وهو يقول : ((لا أريد أن آخذ منكم ثمنها . ولكن قولوا لأمكم ان هذه المحفظة هدية من رجل ماتت أمه وهو في مثل سنكم ولم يتيسر له أن يقدم لها هدية عيد الأم)) ..[1]

انها قصة تصور الطفل وحبه وتعلقه بأمه ، كما تعلمه معنى الانسانية ، وتخلق في نفسه الثقة بالآخرين ، كما تعطيه فكرة عن التناقض الاجتماعي ((إنها ليست للبيع فانصرفوا والا استحملت العصا في طردكم خارج[2]

---

1 — مجموعة هدية عيد الأم ص 14 .
2— مجموعة هدية عيد الأم — ص 11

المحل ... فسرّ الاطفال وهم خائفون)) . هذا ما قاله لهم صاحب المحل التجاري الذي دخلوا اليه في المرة الأولى .

وأسلوبها سهل ممتنع ، وتراكيبها مناسبة للموضوع . وهذا لو ثبت الكاتب في قصته تاريخ هذا العهد .

ونظل مع الكاتب مراد السباعي .. ونفس المجموعة ، ولكن مع قصته ((البطل)) (1) التي تتحدث عن عجوز مراكشي يبيع (النمّورة) (×) أمام مدرسة ابتدائية ، يحبه الأطفال ومن في الحي ، وينادونه بالبطل مما أثار فضول الأطفال الذين حاولوا أن يعرفوا منه سر هذا اللقب ، وبكل تواضع أفهمهم أنه ليس بطلا وانما قام بواجبه فحارب الألمان مع الفرقة المراكشية للدفاع عن باريس ، ووضح أن هذا الدفاع ليس دفاعا عن أرض الفرنسيين وانما كان دفاعا عن وجود الجندي العربي وشرفه ((ولقد قيل آنذاك ان الجيش المراكشي هو الذي أنقذ باريس ، وفي هذه الكلمة ما يجعلنا نرفع رؤوسنا نحن العرب الأبطال)) . ثم يستطرد المراكشي العجوز في حديثه ، ويخبرهم كيف أن فرنسا تورت ارسالهم لاخماد الثورة العربية السورية ضدها وكيف انضم هو ومن

---

١ – مجموعة " هدية عيد الأم ص – 17 .
٢ – مجموعة هدية عيد الأم مراد السباعي ص – 21 .
(×) – ملاحظة : النمّورة : حلوى شعبيّة سوريّة .

منه الى صفوف الثوار . فالأقصر الأطفال انه يطل فضلا ، وكم كان جوابه رائعا عندما سأله أحد الأطفال ((لماذا لم ترجع الى بلدك مراكش بعد جلاء الفرنسيين عنها)) ؟ (1) فأجاب : ((وأين أنا الآن ؟)) ألست في بلدي)) ؟ (2) أليست البلاد العربية كلها موطنا لكل عربي ؟)) . مما أثار الحماس في نفوس الأطفال الذين راحوا يدفقون .. فخجل المراكشي العجوز وانسحب بهدوء الى بيته .. والمدقق في هذه القصة يجد أنها تتسم بالصدق الوجداني ، والشعور الفياض ، واللغة السهلة والتراكيب التي يفهمها الطفل ((الأطفال يحبون (3) ثمورة المراكشي ، والمراكشي رجل عجوز كان يصنع التصورة في غرفة اقتطعها من بيته الكائن قرب احدى المدارس الابتدائية)) .

وهي تنمي في نفسه حب الشجاعة والبطولة والفداء ، كما تعلمه بأن الوطن العربي وطن واحد ، ولكل العرب ، ناهيك عن غرس الوحدة العربية في النفوس ، والاعتزاز بقدرة الجندي العربي وشجاعته في ساحة المعركة ..

وهي قريبة من خيال الطفل وتصوره ، لا افتعال فيها ولا تصنع ...

١- مجموعة هدية عيد الأم - مراد السباعي من 22 .
٢- = = = من 23
٣- مجموعة هدية عيد الأم ص 17 .

أما في قصة الكاتب الثالثة : ((المال لا يصنع رجالا))(1) فهي يروي قصة تلميذ فقير اضطهدته الأيام وجنت السنون بجهة الفقير المدقع ، ورغم ذلك فقد كان متفوقا في صفه يبز أترابه بالمقابل فقد أوجد الكاتب طالبا ثريا ومثله في صفه لتكون الموازنة عفوية بين الاثنين سعيد الفقير وأحمد الثري .

والقصة مطروقة الموضوع عادية التناول، لكنها تؤكد حقيقة لا لبس فيها ولا غموض تتمحور في ان المال لا يمكن أن يصنع رجالا .((اسمح يا سيدي .. صحيح أنني فقير لا أملك من المال ما استطيع به أن أحقق أي رغبة جميلة من تلك الرغبات الكبيرة التي أحب أن أسعدكم بتحقيقها وهذا لا يهم ، لأنني كما اعتقد أحقق رغبة أسمى حين أجعل منكم رجالا يفخر بكم وطنكم الذي هو في أشد الحاجة الى العلم ..))(2).

((قل لأولئك التافهين الذين يسخرون من فقر أبيك أن ثروات آبائكم مهما عظمت لن تجعل منكم رجالا يستطيعون الحصول على الحد الأدنى من تقدير مجتمعهم واحترامه)) .

---

1 — مجموعة هدية عيد الأم ص . 75 .
2 — مجموعة هدية عيد الأم ص . 79 .

(١)
و((عندما وزعت أوراق البلاء على الطلاب وتكلم سعيد أن أحمد قد رسب في صفه تقدم نحوه وقال له : كلمة واحدة سمعتها من أبي وأريد أن أقولها لك ، وهي ان المال لا يصنع الرجال)) .

وهي تعليمية تعلم الطفل الصراحة ، والابتعاد عن الاتكالية ، فالمال لا يدوم ، وتعلمه أيضاً بأن الفقر ليس فقر المال ولكنه فقر العلم وليس من مأخذ على هذه القصة الجيدة من حيث اللغة الواضحة والأسلوب والخيال ، إلا تسرب بعض الألفاظ غير المأنوسة لدى الأطفال والتي تسللت من وراء السطور كقولنه ((أحمد اللئيم (٢))) . فالبراءة تشمل أطفال العالم بأسره ، ولا يمكن أن نخصصها لأطفال الفقراء وننفيها عن أطفال الأغنياء ...!!

بعد مراد السباعي ندخل (عطاء السنابل) للكاتب اسكندر نعمة ، فنبدأ بـ ((مدرسة الغابة (3))) .

تصور لنا القصة وضجة الغابة وما يسود فيها من جهل منا جعل الغزال والقرد يجتمعان

١- مجموعة حديقة عهد الأم، ص 80، (الجلاء المدرسي ؛ كشف بعلامات الطالب) .
٢- مجموعة حديقة عهد الأم ، ص — 75 .
٣- مجموعة عطاء السنابل ص ٢١ - طبعتها وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٨٠ م

معا .. ويفكران تفكيرا سليما للخروج من هذا المأزق . وبالفعل استطاعا أن يصلا الى الحل المتمثل بانشاء مدرسة ... يليهما تكوين مكتبة وملاعب رياضية ... وفي مساء اليوم التالي اجتمع الغزال والأرنب والسنجاب والسلحفاة والعصفور والثعلب والفيل في منزل القرد صاحب الفكرة فوقف فيهم خطيبا بعد تقديم واجب الضيافة .. وكم كانت فرحة الجميع بهذه الفكرة ... ماعدا الثعلب الذى انسحب من الاجتماع بعد اقتراح السلحفاة أن تسمى المدرسة باسم (مدرسة القرد الحكيم)، وقد اقترح الفيل عليهم أخذ موافقة ملك الغابة لأنه -أى الفيل - على ثقة من أن الملك سيوافق فهو مفكر وطيب ومحب لرعيته . وعندما وصلوا الى الملك يتقدمهم الفيل لما له عنده من مكانة وجدوه محاطا بالخنزير البري والثعلب ووحيد القرن والذئب ، وما أن عرض الفيل الفكرة على الملك حتى قهقه الثعلب ، ونقر الذئب عن أنيابه متمتما بعبارات مبهمة .

إلاّ ان الملك أنّب المعترضين ، ووافق على المشروع ... وجمعت التبرعات من بعض سكان الغابة .. وتعاونوا على انجازه وسميت المدرسة مدرسة الغابة ، وعُيّن الغزال مدرسا لما يتمتع به من ثقافة ومعرفة والمام بأصول التعليم والتربية .

وهذا ما كان يتعارض والأفكار الشريرة للمعارضين الذين راحوا يروجون الاشاعات السيئة الكاذبة والتي من شأنها الحط من قيمة المعلم الغزال والمدرسة معا ، ومن هذه الاشاعات ؛ ان المعلم الغزال يعلم الأولاد عصيان الأهل ويعلمهم الرذيلة والتمرد والسرقة .....!! الا أن ذلك لم يفت من عضد الغزالين .

وصباح ذات يوم استيقظت الغابة على نبأ موت الملك وقد نصب الذئب نفسه ملكا بشكل مؤقت ، وهذا التنصيب كان مفاجأة غير سارة لأغلبية سكان الغابة ، ومفرحة للأشرار الذين أقاموا احتفالا كبيرا للملك الجديد ... ورغم التغيرات المفاجئة ... استمر الغزال في دوره المعطاء.. وعم المعلم أرجاء الغابة .. وتم كان سرور القرد ومن معه بنجاح مشروعهم الخير .. الا أن عصابة الأشرار لم تهدأ فضربت القرد ضربا مبرحا .. وساعدت الملك الجديد مساعدة فعالة لالغاء المدرسة ونفي الغزال من الغابة مدى الحياة ، كما ان الملك سيعاقب بالسجن أو القتل كل من يعقد صداقة مع القرد ...

جاء هذا على لسان الثعلب في حضرة الملك الذئب، وهكذا تختتم القصة بانتصار الأشرار واغلاق المدرسة

التي حولت الى قصر خاص لملك الغابة الجديد .

وحيد أن بهذا مضمون القصة .. ظهر جليا ان الكاتب قد اتخذ الحيوانات أبطالا لقصته تماما كما فعل بيدبا الفيلسوف ، ولكن بشكل مسطح فهي اذن رمزية تشير الى الحاكم والرعية الا أنه غرق في الواقعية .. ووقف الخيال مشدودها .. منتظرا على قارعة الطريق دون أن يمنحه الكاتب ولو لفتة تطيب خاطره ...!!

وكم حاول الخيال أن يفتش بعيون قلقتين عن زاوية أو كوة يطل منها على أحبائه الأطفال ، دون جدوى ، فالأبواب موصدة على القصة والقارئ معا ...

علما بأن قصة رمزية كهذه تعتمد اعتمادا محوريا على الخيال الخصب ..!!

وقد لجأ الكاتب الى الاسلوب الحواري القائم على الصراع بين الخير والشر .. هذا الصراع الذي يساعد الطفل على تفريغ ما بداخله من ميول عدوانية ونزعات شريرة ويخلصه من التوترات الداخلية - كما يساعد على التكامل والنضج .

الا ان كاتبنا اسكندر نعمة وقع في خطأ فادح عندما

غلب الشر على الخير ((محمد أمام تحوّل بناء[1]
المدرسة الجميل الى قصر لملك الغابة الجديد .))
وهذا يتنافى وأصول التربية الحديثة التي
تفرض علينا أن نحبب الطفل بالخير ونُنفّره من
الشر بطريقة غير مباشرة ، فمن المعروف في
علم النفس ان الطفل يحب القوي المنتصر
ويتمثله ... !!
بالاضافة الى ان بعض الصور غير محببة كتلك
التي تتحدث عن الحقد في قوله ، ((بينما
كان الحقد والغيظ يأكلان قلب الثعلب والذئب[2]
والخنزير ووحيد القرن ...)) .
وخاصة عندما اختتمت القصة بانتصار الشر .
أما من الناحية الشكلية وعلى الخصوص ما يتعلّق بالاخراج
فاننا نرى أن الكتاب خال من الصور .
باستثناء الغلاف ، وحتى هذا فهو غير مناسب
لعنوان الكتاب (عطاء السنابل) فالعطاء في
رأينا يحمل اللون الأخضر .. أمّا السنابل الصفراء
فلا يمكن أن تناسبها الأرضية السوداء التي غطت
مساحة كبيرة من الغلاف .[3]
ولا تخلو القصة من بعض الصور المشرقة كتلك الصورة

١- مجموعة عطاء السنابل . ص 31 .
٢- مجموعة عطاء السنابل . ص 26 .
٣- حاشية : اننا نرى وجوب اشتراك الكاتب والفنان في صنع الغلاف ، أو على الأقل أن يخرج للفنان ما يريده لينسجم الغلاف مع المضمون .

التي يصف فيها الكاتب صمت القرد بعد أن ضرب وشتم ، واستمراره في متابعة أهدافه التي تتمثل على تقدم مجتمعه وخير سكان غابته .. وجعل ما تعرض له حافزا للعمل ، وكان ذلك واضحا جليا عندما قرر البدء بانشاء المكتبة . ((صمت القرد المتألم وأطرق رأسه وتابع سيره الى بيت الفيل)) (1) ... ((ثم عرض على الفيل مشروعا متمما للمدرسة ألا وهو البدء بإقامة مكتبة وقاعة للمطالعة)) . ومن أجمل ما ورد في القصة روح التعاون بين الخيّر من المتنورين .. حيث كانت التبرعات من قبل القادرين على التمويل السبب الرئيسي لوقوف المشروع على قدميه .. بوشر بالمشروع وسار العمل سيرا حسنا ، وجمعت التبرعات من بعض سكان الغابة ، وتعاون الجميع في انجازه ((لقد جمعت التبرعات من بعض سكان الغابة وقام كل واحد بالعمل الذي يستطيعه)) (2) . أما ما يتعلق بالمفردات المستعملة ضمن اطار القصة ، فقد كانت والحق يقال غنية ... جميلة وموحية . منها ((أرجاء - الوارفة - تتباذيا - رحاب - يفترشون - همهمة الخ ..))

1- مجموعة عطاء السنابل ، ص 30 .

٢- مجموعة عطاء السنابل ، ص 27 .

أمـا قصـة ((الضفدعـة والنملة)) (١) فهـي حـوار يـدور بيـن الاثنيـن قـرب مستنقـع صنوبـر ، بعـد استراحـة النملـة مـن العنـاء الـذي لحـق بهـا مـن جـراء معـركـة حـاميـة دارت رحاهـا بينهـا وبيـن جهـة القمـح الكبيـرة فـي محاولـة جادة لنقلهـا الـى بيتهـا .

وقـد وضـع الكاتـب النملة فـي موقـف مفـاجـيء وخيـف عنـدمـا جعلهـا تـرى الضفدعـة ، ثـم تطمئـن بعـدمـا لقيـت ترحيبهـا حـارا منهـا .

ويجـري الكاتـب الحـوار بينهـا بوصـف الضفدعـة للنمـلـة أوصـافـا جسميّة سيئة مـن خـلال قـولهـا : ((ألسـم تنظـري الـى خصـرك النحيـل وكـأنـه يكـاد ينقطـع)) الخ (٢)

ثـم تسـتطرد : ((تمـرّ بتـرسـك الحيـوانـات والحشـرات فـلا تكـاد تـراك ، أو أنهـا تهـزأ مـن شـكلـك . الضحـك ...)) (3) وتجيبهـا النملـة ، مفتـخـرة بنفسـهـا : أنـا التـي أتمتـع بلـذة العمـل الدؤوب ، وان لـذتـي لاتعـادلهـا لـذة فـي العـالـم ، لأننـي أضمـن العيـش الكريـم لنفسـي ولأسـرتـي، وأبعـد عنهـا الجـوع والفقـر .. الـى أن تصـل الـى قـولهـا : أمـا أنـت وأمثـالـك فيعيشـون فـي فقـر وتسـول دائـم ...

ويأبـى الكاتـب بعـد هـذا الحـوار الا أن يسكـت الضفدعـة

١- مجموعة عداء السنابل ص ٣٩ .

٢- مجموعة عداء السنابل (الضفدعة والنملة ص 42) .

3 — نفس المجموعـة — ص 42 .

المستسلمة ، للنملة التي رفضت مشاركتها في العمل ، قائلة لها : ان من لا يرافق الصمت والحكمة عمله لن يستطيع أن يحقق هدفه ..!! .. وهكذا تفترقان لتستأنف النملة النشطة نقل حبة القمح بحزم وقوة . أما الضفدع ، فتعود الى المستنقع لترتمي في الماء وتنق بأعلى صوتها .. لأنها لم تتذوّق طعم العمل ولذته ..

هذه القصّة لم يعالجها الكاتب من الباب الواسع ، ولم يحبكها بشكل جيد ... فالحوار الذي دار بينهما والهادف الى اظهار التناقض بين الكسل والجد رغم الفارق الجنسي ..

جاء حواراً مباشرا مع أن بطلتيّ القصة من الحيوانات .. وهذا يعني أنه وظّف الحيوان توظيفا سيئا .

أما ما يتعلّق بأسلوب الصياغة الذي اعتمده الكاتب فقد كان بعيدا كل البعد عن الناحية التربوية .

اذ كان عليه أن يضع النملة في موقف مهذّب لاتصافها بالجد والمثابرة والتفكير ، وقد ظهر ذلك في قولها للضفدعة ((لا يا سيدة المستنقعات .. فأنا التي أهزأ من الآخرين ، أهزأ من (1)

1- مجموعة عطاء السنابل — ص 42 .

المرصور والمناكب والضفادع)) ..

هذا في رأينا يجعل النملة تتهم الضفدعة بأن أسلوبها في الحياة أسلوب خاطئ ... وأن تسعى دائما للحصول على رزقها بعرقها ... أما ما دار على لسان الضفدعة فهو يناسب سلوكها في الحياة ..!!

وكان على الكاتب أن يستغل الحوار في اعطاء الطفل درسا في حب التعاون أيضا لا العكس ....!!

فرفض النملة التعاون مع الضفدعة يعلم الطفل السلبية والأنانية المفرطة ، قالت الضفدعة للنملة
((فهلا سمحت لي أن أرافقك وأعمل مثلك)) .(1)

((لا ، لن تستطيعي ذلك ؛ فأنا أعمل بصمت وهدوء ودأب ، وأنت ترفعين صوتك بالنقيق والضجيج معلنة التبرم)) الخ .

ومن بديهيات التربية الحديثة زرع حب التعاون بين أفراد المجتمع ... وغرسها في نفسية الطفل بشتى الوسائل والطرق الناجحة وفي مقارنة بسيطة بين قصته الأولى والثانية نجد التناقض الواضح في الفكرة ، فهو يحض بطريقة مباشرة على التعاون في الأولى، بينما يرفضه بطريقة غير مباشرة في الثانية ..

١-مجموعة عطاء السنابل ص — 43 .

كما نجده في الأولى يغلّب الشر على الخير .
بينما يضع الطفل على مفترق الطرق في قصته الثانية ... !! واذا دل هذا على شيء فانما يدل على عدم وضوح الرؤية لدى الكاتب وعدم التفريق بين الكتابة للكبار والكتابة للصغار .
فالقصة الأولى تنقل صورة واقعية للمجتمع الحالي الذي نعيشه ، وهي تصلح للكبار أكثر من صلاحيتها للصغار ...

أما الثانية فلا أظنها تصلح لأحد ..!؟.
وهنا أرى لزاما عليّ أن أشير الى أن ((عطاء السنابل)) تعوم على سطح كلية ودمنة من حيث الشكل والمضمون . اضافة الى أن القصص عندما تترادف في موضوعاتها وتتداخل في التراث تداخلا ملفتا للانتباه .. تضع الدارس أمام أمرين اثنين لا ثالث لهما : اما أن يتغاضى عن ذلك في مطالبة منه لفسح المجال أمام الكاتب في التعبير عما يحس دون رقيب أو أن يغربل هذا النتاج من خلال مقارنته مقارنة طفيفة مع التراث كما فعلت في العبارة السابقة

الباب الثاني

==================

دخول دنيا الطفولة

من بوابة العصر

++++++++++++++++++++++++++++++++++
xxxxxxxxxxxxxxxxxxx

الفصل الأول

دراسة تطبيقية لقصص الأطفال في سورية

تلمسنا معالم الطريق من خلال بعض النماذج الجيدة المعبرة عن تلك المعالم ، ووقفنا على الرؤية المتفتحة لدنيا الطفولة ، كما استطعنا أن ندرك مدى أهمية الكتابة للأطفال وضرورة الالحاح على فهم عالمهم الخاص من خلال المعايشة لواقعهم ، ودراسة بيولوجية جادة تخلق التواصل بين الكاتب والطفل دون أن يشعر بالملل ، وعدم الرغبة في القراءة . وهذا أمر طبيعي لأن الطفولة عالم خاص له مقوماته وأبعاده والداخل اليه يتوجب عليه أن يكون على دراية واعية به .

ولعلنا بدراستنا التطبيقية هذه نكون قد اقتربنا أكثر فأكثر من هذا العالم الرحب المليء بالخصوبة والمتدثر بأمواج الحياة المستقبلية للأمة والمتطلع أبدا الى الآفاق البعيدة المشرقة .

ومن الطبيعي أن نقدم مجموعة من الكتاب الذين بدأوا يتجاوزون بالفعل تلك المعالم ليدخلوا دنيا الطفولة وأرى أن نبدأ

بمجموعة عنوانها : (أحلام الصيّاد الكسول) ،
والمتضمنة مجموعة من القصص يقدّمها المؤلف
(1)
وليد معماري ، ومما جاء في هذه المقدّمة ((... وبما أنهما بنتان مهذّبتان ، وتحبّان بابا الذي هو أنا ، فقد كانت تعجبهما قصصي)) .

وهذا الاستنتاج والفرض الأبوي يجعلنا نقول : ان الطفل لا يسمح له سنّه أن يكون منطقيّا ومن هنا . يتوجّب علينا أن نعدّه مستقبليا لمثل هذه المواقف . لذلك نرى أنّه من الأصح القول :
فقد كانتا تحبّان أن أروي لهما قصصا باستمرار ، لأنهما كانتا تستمتعان بقصصي التي كنت أبذل جهدي في اختيار الممتع والمفيد منها .

هذا ما ورد في المقدّمة .. أمّا احدى القصص فقد
(2)
عُنونت بـ ((مركب السمكة الذهبيّة)) ، يدور موضوعها حول صيّاد فقير يدعى (عثمان) .. صيده لا يسد رمقه ورمق أسرته ... فصار يحلم بصيد سمكة ذهبيّة كبيرة يبيعها ويشتري زورق صيد .. وقد طال وقوفه على الشاطئ في انتظار حلمه الجميل فتملّكه اليأس بعد أن أخبره

1- مقدمة أحلام الصياد الكسول - ص 5 .
2 - نفس المجموعة - ص 9 .

البحر بعدم وجود مثل هذه السمكة في أحشائه..
ودلـه على طريقة يحقق بها حلمه المتجسد
في زورق صيد ، وذلك بالتعاون مع زملائه ...
والقصة في حد ذاتها تعليمية ... سادها الأسلوب
المباشر ... وكان يهدف من ورائها تعليم الطفل عدم
الجري وراء السراب ... وان العمل الدؤوب والتعاون المثمر
هما الطريق الوحيد للوصول الى الغاية المرجوة :
(1)
((رفع البحر أمواجه وتنادى : لا يا عثمان ... بدلا
أن تحلم بالسمكة الذهبية وبالزورق ، تعاون مع
زملائك الصيادين واصنعوا مركبا للصيد .))
كما أنها تعلمه رفض الرضوخ للأمر الواقع
والتفكير في طريقة تخرجه من المأزق الحرج .
وخيال هذه القصة ضعيف ، وموضوعها غير
جديد ... ولم يوفق الكاتب في اثارة
الطفل خلال عرضه ، وهذا يعني افتقارها
لعنصر التشويق الذي يشكل حجر الزاوية
في القصة الطفلية .

وقد لجأ أحيانا الى استخدام المجاز ، فنادى
البحر ((يا صديقي (2) البحر ... امنحني ولو
مرة واحدة سمكة ذهبية ...)) .
(3)
((أما البحر فقد نفق بموجه ، وداعب مركب

1- مجموعة احلام الصياد الكسول ، ص — 10 .
2 — نفس المجموعة ص — 9 .
3 — نفس المجموعة ص — 13 .

السمكة الذهبية ، وراح يستمع بهدوء الى أغنية الصيادين الجميلة)) . وما زلنا مع نفس المجموعة وتحديدا مع قصة (سعدون والشمس)[1] اذ يدور موضوعها حول الفلاح سعدون الكسول ، والذي حاولت الشمس أن توقظه ، ولكنه بقي مستغرقا في نومه .. فخاطبته الشمس

قائلة : الجميع ذهبوا الى ميدان العمل ومازلت وحدك تغط في النوم .

قال سعدون : انني متعب جدا وترك مكانه مبتعدا عن أشعة الشمس . فتركته وذهبت بعيدا الى حقل سعدون وسنابله وخاطبتها ولكنها لم يستطيعا القيام بعمل لأن صاحبهما غائب ...

ونهض سعدون متأخرا جدا .. وذهب الى الحقل في محاولة لتعويض مافاته الا أنه وجد ذراع المحراث مكسورا ... والساقية تطالب بتنظيفها ..الخ .. وتنمو كل الحقول المجاورة الا حقله الحزين ... وبذلك لقنته الشمس درسا قاسيا تنفض عن كاهليه الكسل والخمول ...))

وفي نظرة شمولية لهذه القصة نرى أن الاسلوب

١- مجموعة احلام الصياد الكسول ص- 15 .

كان جافا . وهناك بعض الجمل غير المحببة ، ((وبل لك .)) (1) ((دخلت الشمس)) (2) والتهمة تعليمية .. افتقدت عنصر التشويق والاثارة ، بالاضافة الى أن مجيء الأسلوب المباشر على هذا النحو ، ينفر الصغار : ((قالت الشمس : ((لكن حقلك يحتاج الى الحراثة والبذار والعناية وأنت نائم)) (3) .

وخيالها ضعيف ... ثقيل الحركة ... وكان باستطاعته أن يصوغها صياغة أجمل ... كما كان بامكانه أن يتماوج بين الحقول المخضوضرة وسنابلها الضوئية ... وشمسها الذهبية ولابهها المخمورة ..))

---

1 — مجموعة أحلام الصيّاد الكسول (قصة سعدون والشمس) ص — 17 .

2 — نفس القصة ص 16

3 — نفس القصة ص 17

عبد المجيد زراقط والثعلب المحتال

بطلا القصة هنا : الديك - في مقام الملك ، والثعلب في مقام الحاكم ، حيث يحكم الثعلب على جميع الطيور بالعقاب واضعا لكل طير حجة .. وقد استطاع (الدوري) الافلات من العقاب وذلك عندما قال للثعلب : ((من عادة القضاة المؤمنين أن يتطهروا بالوضوء قبل مباشرة الحكم))(1) !

— وقد جاءت القصة رمزية شفافة .. لغتها سهلة وأسلوبها غير مباشر .. وهي تحث الطفل على التفكير الجاد من خلال وضعه أمام المشكلة المتمثلة في البحث عن حيلة للخلاص من مأزق ما ..

والحق يقال : ان هذا الكاتب .. نحاسب واعد بالفضل ، نأمل أن يسير حثيث الخطى ، ليتمكن من ادخالنا الى عالم الطفولة بكل صدق وعفوية وفاعلية ، كما هي الحال في قصته تلك .

1— سامر : مجلة سورية للأطفال العدد ١٦٤
الخميس ١٨/١١/١٩٨٢

عزيز نصار و (احلام الصغار)

والآن مع الكاتب عزيز نصار في كتابه (أحلام الصغار)(1) فالقصة الأولى تحمل عنوان ((ندى الجميلة)) .

يدور فحوى القصة بطلان هما سامي وندى ... كان لقاؤهما صدفة حيث كان سامي يلعب بكرته في الحديقة فما يحدث عنه لتستقر بقرب ندى المتظللة بشجرة الدفلى ... وتمتد قفزا وراء الكرة بين الأشجار ، وحلقا كفراشتين حول الأزهار بغمر قلبيهما الفرح ، وقد وصلا الى شاطىء البحر الحالم ليعبر سامي عن انسجامه بترسمها على الرمال ... وكم سرت ندى بذلك ، وعبرت عن هذا السرور باهدائه خرزة تلمع كالنجوم !!..

وحان الوداع ليؤكد سامي رغبته في لقائها كل يوم ... فاستجابت لرغبته مما وطد عرى الصداقة ... وتنوعت الألعاب من متابعة العصافير التي كانت تهتم بها ندى ... الى البالونات الحمراء ... وصنع الزوارق التي كان يتفنن فيها سامي !...

1- مجموعة أحلام الصغار ص 67 .
الصادرة عن اتحاد الناشرين الدمشقيين عام 1983 .

وذات يوم عبرت ندى عن رغبتها في ركوب زورق يمخر عباب البحر بمرافقة سامي ، وفجأة ، نقلته من هذا الحلم الجميل الى الحرب ، حيث قالت ؛ لقد سمعت الكبار يتحدثون عن الحرب فما معنى ذلك يا سامي ... الا أنه عجز عن الجواب واكتفى بقوله ؛ هذا من شأن الكبار . وافترقا .. !!

وبالفعل كانت الحرب قد بدأت ... ولم يعد يلتقي بندى التي كان ينتظرها في الحديقة كل يوم ... وكم أكل اليأس قلبه ... وكم تفجرت غابة أحزانه فهو لا يملك الا أن يرسم صورتها على الشاطىء ، فقد طوت الحرب ندى وهو لا يعرف عن مصيرها شيئا ...؟!

والقارىء لهذه القصة يقف مندهشا أمام كاتبها فقد عودنا أن يكون رائعا وشفافا ينتقل من صورة الى صورة بانسيابية مندهشة ... غير أننا نرى في هذه القصة ان انتقاله من المرح الطفولي الى الحرب انتقالا أقل ما يقال عنه . غير موفق قالت ندى ؛ ((سأركبا[1] زورقا وأسافر في البحر)) .

قال سامي ((خذني معك يا ندى[2] سنسافر

١- مجموعة أحلام الصغيار - ص 9 .
٢- المجموعة نفسها ص - 9 .

الى جزيرة مملوءة بالدراجات الصغيرة الخ))
(1)
فجأة سألت ندى ((ما معنى الحرب سمعت الكبار يتحدثون عنها)) .

((قال سامي : هذا شيء يعرفه الكبار)) .

وهي بالاضافة الى ذلك تثير القلق في نفسية الطفل ، وتضعه أمام واقع قاتم بائس عند تذكرها ، حتى وهو في أجمل أجواء الطفولة ومرحها ، فالطفل غير قادر على أن يتصور امكانية حدوث مثل هذه الأشياء ... وأن ينتقل فجأة من جو الى جو رغم محاولة الكاتب أن يولد الكره في نفس الأطفال للحرب وفيما يخص الحوار فقد كان حوارا ممتعا ، ورقيقا ، وكانت اللغة بسيطة معبرة . كما لعب الخيال دورا ايجابيا
(2)
في حيوية القصة .. ((صاحت ندى)) : ((أستطيع أن أطير ، وثبت بجديلتها الطويلة وحركت ذراعيها كعصفورة تحاول الطيران .)) الخ ...

وقد غذت الطفل ببعض المفاهيم الحياتية والجمالية ... كالصداقة وتبادل المحبة بين الناس والاختلاط
(3)
بهم ((اقترب سامي من الطفلة وهو يمسك كرته

1- مجموعة أحلام الصغار - ص 8 .
2 - مجموعة احلام الصغار - ص 7 .
3 - مجموعة أحلام الصغار ص 7 .

وقــال : هــل تلعبيـن معـي)) . ((وسحر البحـر وعذوبـة الأشجار)) ، وخلاصـة القـول : أن باستطاعة كاتبنا أن يتعامـل مـع قصـة كهذه بطريقة أخرى فاعلـة لا تشوبها شائبة ... وهو أهل لذلك .

أمـا فـي قصـة ((الـوطـن))(1) مـن نفس المجموعة فتـدور حـول معسكر للطليعـة علـى البحـر كلفهم المشـرف برسـم لـوحـة تعبـر عـن حبهم لوطنهم ووعدهـم بتعليـق لـوحاتهـم فـي معـرض المعسكر ، وبدأوا فـي التعبيـر عن حبهم للوطـن ، فهـذا يرسـم فـلاحيـن ، وذاك عـاملا بثيابـه الـزرقـاء وآخـر جنـديا ممسـكا بسـلاحـه .. ورابعـا سـفينة حربيـة مدافعهـا كبيـرة ...

أمـا حسـام فقـد غطـت لـوحتـه الغيـوم الكثيفـة ، المطلـة علـى خيمـة مـن خيـام المشـرديـن ، تتسـرج منهـا فـوهـة بنـدقيـة ..

أثنـى المشـرف علـى الرسـوم إلاّ أنـه تـوقـف عنـد لـوحـة تيمـاء المعبـرة عـن عصـافيـر تـمـرح فـي سمـاء لـوحتهـا الزرقـاء ، وهـي عـائـدة الـى أعشـاشهـا – وقـد أسـكنتـها شمس الغـروب ... وعنـدما أخـذ رأي الطليعيـن بـلـوحـة تيمـاء أثنـوا عليهـا ولكنهـم اعتبـروهـا خـارجـة عـن الموضـوع .. الا أنّ المشـرف خـالفهـم الـرأي دون أن يقـدم الأسبـاب

---

(1) – مجموعة احلام الصغار – ص 31 .

المتنمية للأطفال .. ويظهر ذلك في قوله :
((اللوحة رائعة (1) ... أحسنت يا تيماء أحسنت لوحتك لم تخرج عن الفكرة)) .

ومن ايجابيات هذه القصة انها غنية بالمفردات المنتقاة ، زد على ذلك أسلوبها غير مهما شعر ، كما أنها تعلم الطفل حب الوطن والتعلق به ، والدفاع عنه . وقد أجاد الكاتب في اعطائه الحرية للداخل ليعبر عن خياله بالطريقة التي تروق له ((جمعهم المشرف (٢) وقال لهم : سيرسم كل واحد منكم لوحة تعبر عن حبه لوطنه وحمايته)) .

ونرى أن من سلبياتها : وعد المشرف بتعليق اللوحات ((وستعلق لوحاتكم في معرض المعسكر .)) ولم يف بوعده ، وهذا يعلم الطفل نكث العهود .

كما أنه لم يكترث بآراء الأطفال بما يتعلق بلوحة تيماء ولم يعلل سبب اعجابه بلوحتها ، واكتفى بالعموميات التي لم تستوفها لوحة تيماء كقوله :
((عندما نحب بلادنا نبنيها وندافع عنها))
فالأجدى أن يشير هنا الى لوحتي حسام ونادية . (3)
فلوحة حسام ((غيوم كثيفة في السماء وخيمة على الأرض مشدودة بحبال خشنة الى أوتاد خشبية ، ولم ينس

١- مجموعة احلام الدنانير ، ص 34 .
٢- المجموعة نفسها ، ص 31 .
3- نفس المجموعة ، ص 32 .

حسام أن يرسم بندقية لامعة لأنها هدية للخيام والمشردين والثائرين .))

((الوحة لبادية سفينة حربية مدافعها الكبيرة مسددة نحو الأفق البعيد .))(1)

1 - مجموعة أحلام الصغار ص 32 .

المرأة الكاتبة والقصة الطفلية

ليس من الغريب أن تلج المرأة عالم الطفولة وتعبر عنه لأنها حجر الزاوية فيه ، وسبيل صلاحه ، وحتى الى جانب ذلك شاطىء الأمان ومرفأ الحنان وقادرة على معرفة ما يدور حولها ، وما يرسو في مرفأ الطفولة من سفن كبيرة وقوارب صغيرة ..!!

أو ليست هي الأم ، تهب عمرها كله لاسعاد أبنائها وارضائهم ..؟؟

لقد قيل : ما من عظيم الا وراءه امرأة عظيمة ، فكيف اذا كانت هذه المرأة كاتبة ..؟؟ من المفروض والحال هذه أن يكون لها باع طويل وخاصة اذا كتبت للأطفال .. لأنها تعيش على حقل الواقع ، وتعايش هذا العالم الفسيح ، وتبذل قصارى جهدها في تنشأته ... انها المدرسة الأولى التي تخرّج أبناء المستقبل وتعدهم اعدادا يدبحون من خلاله قادرين على مواجهة الحياة بما فيها من عقبات وصعوبات .

فهل استطاعت المرأة الكاتبة أن تدخل عالم الطفولة الرحب بعمق ؟ أم انها طفت على سطحه ..؟؟ ربما يتبادر الى الذهن ان الشمق

الأول من السؤال بجواب طبيعي ، وما أدرانا أن تنعكس الآية ؟ لذا أفضل أن نتعرّف على ذلك من خلال قصص مجموعة من الكاتبات ، وقد رأيت أن أبدأ بقصة الأفعى والراعي للكاتبة نظيمة أكراد تلك التي كانت تنشر قصصها في الصحف والمجلات السورية تحت اسم (نوال حلبي) ، ولا أدري لماذا كانت تختفي وراء هذا الاسم أخوفا من النقد أم خوفا من وضع اجتماعي ما كبنت الشاطئ ؟ ومهما يكن من أمر ، فهذا راجع الى المؤلفة فربما تجيب عن ذلك في يوم ما ، ولا داعي لنتكهن الاجابة ...

قصة ((الأفعى[1] والراعي)) تحمل اسم المجموعة (الأفعى والراعي) وتتلخص في أن راعي القرية منذ سنين طويلة أبا ابراهيم كان صورة مألوفة لأهل القرية الذين تعودوا رؤيته مع القطيع كل مساء . ولا تقل الحقول والمنحنيات والصخور معرفة به عن أهل القرية انه نما الحب بينها وبينه منذ أمد بعيد .

١- مجموعة الأفعى والراعي ص ١٨ . وهي من منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام ١٩٨٢

أليس هو العازف الماتر الذي يُرقّص حتى الصخر على نايه ؟ ألم تخرج تلك الحية منتشية من تحت الصخرة التي تعوّدت أن يجلس عليها ويعزف ألحانه الشجية ؟..

أجل لقد خرجت وكان خروجها مفاجأة مذهلة للراعي الذي حاول عبثا أن يبحث عن شيء ما يضربها به . وكانت مفاجأته الثانية عندما قالت الحية له لماذا أنت خائف ؟ (((1) لقد أحسنت العزف ، وسنكون بعد اليوم صديقين))..

ودعته بعد أن ألقت له بقطعة ذهبية لم يتناولها إلاّ بعد أن تأملها وتأكد منها وتكررت العطية مرارا . شعر بعدها أبو ابراهيم أنه بحاجة للذهاب الى الحج بعد أن أصبح قادرا ، وقبل أن يغادر بيوم واحد أباح بسره لابنه وأوصاه بالعزف وأخذ القطعة الذهبية والاحتفاظ بها الى أن يعود ولا يزيد على ذلك شيئا .

إلاّ أن الابن بعد أن حصل على مجموعة من القطع الذهبية ، أكله الطمع فقرر قتل الحية والاستيلاء على الذهب دفعة واحدة ، ولكنه فشل في ذلك ولم يتمكن إلاّ من ذنبها بينما جعل الحية تفرغ سمها فيه وهي تقول : لماذا كل هذا الطمع ؟ إنك لم تجن منه إلا الموت .

1- مجموعة الأفعى والراعي ، ص 10

وشيعت القرية الراعي الصغير حزينة متألمة وكم كان حزن الأب بعد عودته من الحج والذي صمم أن يثأر لابنه ، فذهب الى المرعى وعزف أجمل ألحانه مما أخرج الحية من وكرها وهي حذرة بعيدة عنه ، حزينة كألحانه الحزينة . وبعد أن أنهى عزفه ودون أن يراها خاطبته قائلة :

((لماذا عدت ياعزيزي[1] الى العزف ، أعرف أنك حزين وتعرف انني لن أطرب . أنا لن أنسى ذنبي وإن نما ، وأنت لن تنسى ولدك)) .

واختفت من المكان تماما .

قارئ هذه القصة يشعر أن صاحبتها قد اهتمت اهتماما كبيرا باللغة من حيث الألفاظ والتراكيب .

((كان كليم القلب حزينا))[2] . ((أحس أبو ابراهيم ان وقت التيلولة قد انتهى))[3] . ((سكن وعبس صامتا واجما))[4] . ((ويأخذ بالعزف فتنبعث منه أنغام حزينة تبدد صمت السهول وتصل الى مشارف القرية ، والفراشات تطير من حوله جذلى بأجنحتها الشفافة الملونة))[5] .

الا انها أهملت ذلك في بعض الأماكن كقولها :

((تعود الجميع رؤيته مع القطيع كل مساء حتى أصبح كأنه منه بثيابه الفضفاضة الطويلة .))[6]

ف ((كأنه منه بثيابه)) تركيب ضعيف من

---

1 — مجموعة الأفعى والراعي — ص 14 .
2 — نفس المجموعة — ص 14 .
3 — نفس المجموعة — ص 9 .
4 — نفس المجموعة ص 10
5 — نفس المجموعة ص 9
6 — نفس المجموعة ص 8

جهة ، وقلق من جهة أخرى وكذلك قولهما ((وان لهما)) تتلق التماسا في اللفظ والكتابة أما قولها عندما حاول الراعي الصغير تقبيل الحيية ((لماذا استعجلت ذلك(1) قبل الاوان)) ففي رأيي ان هناك غموضا في كلمة (ذلك الواردة في سياق الجملة مما خلق ضبابية غير مستحبة .

وقد نجحت الكاتبة الى حد ما من حيث إضفاء الخيال على القصة وخاصة عندما لم يبح الأب ابنه صراحة بعدم تقبل الحيية ، ((أوصى ابنه ابراهيم برعاية الأغنام وقبيل سفره بيوم باح له بسر الحيية وحدثه بما يكون منها وأوصاه بالحرص ، وبأن يأخذ القطعة الذهبية ويحتفظ بها لحين عودته ، وألا يفعل شيئا غير ذلك))(2) .

ومما يلفت الانتباه من الناحية التربوية تلك الحقيقة التي أبرزتها الكاتبة والمتجسدة في أن من يخالف أباه يكون مصيره وخيما .. بالاضافة الى أنها تعلم الطفل التأكد من الشيء قبل أخذه ((حاول أن يمد يده ليلتقط القطعة الذهبية ولكنه تردد تمهل أن يمسها .. الخ(٣) والابتعاد عن الطمع الذي يقود الانسان الى الهاوية .

1- الأفعى والراعي ص 13 .
2- نفس القصة ص 11 .
3- نفس القصة ص 10 .

وبوجه عام فالقصة متوسطة الا أننا كنا نأمل أن تكون أفضل من حيث الشكل والمضمون ، ووضوح الرؤية – أي بعيدة عن اللبس وتشابك الأفكار – ليتضح الهدف العام والهدف الخاص فيستطيع الطفل أن يدرك ويعي محتواها .

قصتنا الثانية من نفس المجموعة تحمل عنوان :

((التينة المعطوف (١))) . ومفادها أن شجرة تين كانت تتربع في مرج واسع يفيء اليها الناس ، وتعطيهم أحلى ثمارها ..

وذات يوم جاءت الفلاحة لتحصد السنابل ، بعد أن وضعت طفلها الصغير تحت تلك الشجرة .. نام الطفل .. واستيقظ مرتين وأمه منهمكة في العمل بعيدة عنه .. فما كان من شجرة التين المعطوف الا أن حنّت على الرضيع وهدهدته وأعادته للنوم ..

وبين الفينة والفينة كانت الأم تتفقده لترضعه فتجده نائما .. صحا الطفل في المرة الثالثة وبكى بكاء شديداً دون أن تسمعه الأم ، ودون أن تستطيع شجرة التين أن تحمل شيئا له رغم محاولاتها الكثيرة فما صفقت الأوراق وأصدرت أصواتا قوية ، وعندما سمعت الأم تلك الأصوات خافت على ولدها فعادت لاهثة ، وأرضعته وقبلت جبينه ...

---

١ – مجموعة الأفق والراعي ص 17 .

وكم كان فرح شجرة التين عظيما وهي ترى فرح الطفل غير مكترثة بما أصابها من ألم أثر في حليبها وجعله مر المذاق حادا ومازالت تلك الشجرة تحمل في ثمارها حليبها مرا لاذعا ، وتحب جميع الأطفال وتحنو عليهم ..

هذه القصة أضعف من سابقتها اذ تشعر القارئ بأنها قد نحتت نحتا شكلا ومضمونا ، فقد نفيت من الأم ذلك الإحساس الخفي الذي يجعلها تحس بابنها رغم ابتعادها عنه ، ويظهر ذلك في قولها ، ((ولكن لم تسمعه أمه لطول المسافة بين شجرة التين ونهاية الحقل حيث تعمل (1) -

وفي رأيي أن الأم مهما كانت جاهلة لا بد وأن يساورها مثل هذا الشعور من جهة ولا بد أن تتصرف بحكمة في وضع وليدها ، ولا تبتعد عنه تلك المسافة الطويلة التي أشارت اليها الكاتبة فهي - أي الأم - بلا شك تخشى على رضيعها من الآفات كالحية وغيرها ...

بالاضافة الى ان هناك بعض الألفاظ التي أقحمت في القصة ولا فائدة ترجى من وضعها كقولها مثلا .. ((.. لتعمل في حصاد سنابل القمح الناضجة (2))) فكلمة (حصاد) تغنينا عن كلمة (الناضجة) .

والملاحظ من خلال القصتين أن الكاتبة تحاول أن تخلع الوصف المجرد على قصصها مما

١- الاذني والراعي ص 18

٢- نفس المجموعة ص 17

بجملها تضيع في دوامة الانشاء ، متخوفة أثر المنفلوطي في هذا المجال ... مبتعدة عن الحوار الا مانيدر ..!؟

((انهمكت في عملها طويلا ، استيقظ الطفل من نومه وأخذ يبكي يريد أن يرضع ، ولكن لم تسمعه أمه لطول المسافة بين شجرة التين ونهاية الحقل حيث تعمل - ولما تعب من البكاء نام ، وخلال نومه جاءت والدته الخ ... فوجدته نائماً نوماً عميقاً)) الخ ..(1)

1 - مجموعة الافعى والراعي ص 18

القصة الثالثة للكاتبة نظمية أكراد هي :

(النخلة الشامخة)(1)

وهي بالفعل قصة جيدة ...

فحواها : حوار دار بين النخلة والعصفور المتعب ، الذي حط عليها بعد طول عناء ... هذا الحوار العلمي المفيد ، والمتمثل في تعريف العصفور على أن أرض النخلة (الأرض العربية) هي أم الحضارات في الماضي والحاضر والمستقبل .. هي مهبط الرسالات السماوية ... وتختزن في باطنها كنوز العالم من المعادن والنفط ...

ولم يصدق العصفور ما روته النخلة ، فهو لا يرى الا كثباناً رملية تتلوى كما لأفاعي ... وكم نهرته النخلة بوجوب عدم النظر الى سطحية الأمور ... ولكن الشك بقي يراوده بعد أن فهم منها سر هذا الشموخ ... وودعها وانطلق يشدو لكل شجرة يحط عليها ، بسيرة شموخ النخلة واعتزازها بأرض الوطن ..

إن من يقرأ هذه القصة تتراءى له الصحراء العربية بكل شموخها وعنفوانها كما يستطيع

1- مجموعة الأفعى والراعي ص ٢٤

بوضوح أن يفهم ما ترمي اليه الكاتبة من خلال الحوار الذي دار بين النخلة والعصفور والمتمثل باظهار قيمة الأرض التي يتمنى اليها الإنسان
(1)
((سألها العصفور ، كيف تعيشين هنا أيتها النخلة الجليلة ؟ - انني أعيش هنا في أرضي بين أهلي وأصحابي ، وأنا سعيدة بهذا كل السعادة)) .

ومن الى جانب ذلك تعلم الطفل التعمق في فهم الأشياء ...
(2)
((يا صغيري لا ترى الا الظاهر على حد نظرك القصير ، ان بأرضي من الخيرات والكنوز ما تعجز عن معرفته ورؤيته ، ان بأرضي غابات من المعادن وبحارا من البترول ..)) .

وتساعده على رسم ملامح الماضي والحاضر وما يجب أن يكون ، وبالفعل استطاعت الكاتبة أن تجسد بلغة بسيطة وفكرة واضحة قول أبي تمام ....

كم منزل في الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

كما ان هذه القصة تضع الطفل أمام تساؤل مشروع : لماذا كنا في الماضي منائر تضيء العالم ... وأصبحنا اليوم على ما نحن عليه ...؟

١- مجموعة الأفعى والراعي ص 25
٢ - نفس المجموعة ص 27

لماذا لا نهمش أمجادنا الخوالي ..؟؟
وكذلك ترتبط الطفل بوطنه وأجداده بكل عز وفخر ...!!
إنها قصة تطابق فيها الشكل والمضمون ، فخرجت متكاملة المعالم .. ((ورفعت النخلة رأسها شامخة ، لم يفهم العصفور كل ما قالته ، ولكنه عرف سر شموخها واعتزازها ، وطار بعيدا ليحكي لكل شجرة يحط عليها شيئا من شجرة النخل الشامخة)). (1)
لننتقل بعدها إلى الكاتبة ((لينا كيلاني)) ومجموعتها العصافير لا تحب الزجاج . نأخذ قصتين أولهما " البنفسجة الصغيرة " .... تدير الكاتبة حوارا معقولا بين الورد والزنابق والرياحين وشقائق النعمان والبلاب والزهور البرية ... والربيع وتطلب كل واحدة من الربيع أن يهبها شيئا ما ... فالورد يعتبر الربيع من صنع يديه وهو ابنه المدلل ولذا يتوجب عليه أن يعطيه الجمال والعطر بلا حساب . (2)
أما الزنابق فهي تطلب منه أن يعطيها نصيبها ، لأنها زينة الربيع .. وقد اكتشفت

1– مجموعة الأفعى والراعي – ص 30 –.
2 – مجموعة العصافير لا تحب الزجاج – ص 5 – طبع الكتاب بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام 1979.

الرياحين بالعطر . وتصرّ شقائق النعمان على أن يكون شكلها بديعا وتطلب بقيّة الورود والزهور ما تعوّد الناس أن يجدوه فيها ، لأنها ترفض فقدان الخصوصيّة والمزايا ، وترفض أن تشابه الآخرين .

وهكذا تسترسل الكاتبة في هذا الحوار لتصل الى البنفسجة التي بقيت صامتة ، مكتفية بالاستماع الى أحاديث الزهور والورود .

وتأخّر الربيع ذلك العام.. خاب ظن الجميع الا البنفسج الذي حافظ على نفسه وعطره الفوّاح ..

ولمّا أحسّ بغيرة الجميع منه قال : ((هل نسيتم ما أنتم عليه من الجمال والعطر ؟ مع هذا فأنا لا أغار منكم أبدا اذ لكل عطره الخاص في الحياة)) .(1)

وتنهي الكاتبة قصّتها بحديث البنفسجة : ((وأنا تعلّمت أن أكون قانعة متواضعة لأنني راضية بما لدىّ ولا أحسد الآخرين)) .

القصّة بوجه عام فيها شفافية الى حد ما ، قلّل منها الاهتمام المتعمّد للكاتبة بتركيب الجمل التي تأتي قسريّة كما هو الحال في هذه الجملة : ((اذ لكل عطره في الحياة)) . التي أقحمت كما نرى ، وهي تمثّل درسا أخلاقيا قيّما

1- مجموعة العصافير لا تحب الزجاج - ص 9 .

يقدم للطفل في قالب غير مباشر ليؤكد الحكمة القائلة: ... ((القناعة كنز لا يفنى))
كما أن هذه القصة تحبب الطفل بالطبيعة المعطاءة، وتعلمه كيف يحب الجميع، والبعد عن التقليد أيضا.
وهكذا لو تخلت الكاتبة قليلا عن شكلية اللغة، لتكون أكثر انسجاما ووضوحا .. وليتعمق الموضوع ببساطة.
أما القصة الثانية للكاتبة نفسها تحمل عنوان: العصفوران: ((العصافير[1] لا تحب الزجاج)). وتتلخص القصة في حوار بين عصفورين جائعين يطاردهما الشتاء، يبحثان عن مأوى بعد فقدان تم كسره ويشبه ... وأخيرا يهبطان معا فارتطما بزجاج تماس حطّم أجنحة العصفورين فوقعا أمام المستنبت الزجاجي وقد سالت منهما الدماء وخرج صاحب المستنبت وهو عالم نبات يحب العصافير فحملهما برفق الى الداخل وقدّم لهما ماء نقيا وحبا نظيفا ووضعهما في قفص مذهب جميل، ومع هذا رفضا البقاء وآثرا الحرية.
القارىء لهذه القصة يجد أن فيها من التكلف ما يجعل الطفل ينفر الى حد كبير ... وهذا

1- مجموعة العصافير لا تحب الزجاج ص 11

واضح في رأيي الجلي إصرار الكاتبة على الاهتمام الشكلي باللغة كما أسلفنا في القصة الماضية ورغم جودة المضمون الهادف الى غرس روح الحرية في نفسية الطفل فقد كان بالإمكان أن تصاغ بشكل أفضل .. ومجيء الحرية على هذا النحو من خلال عصفورين في قفص - موضوع مطروق جدا في الشعر وفي النثر (1) ((ومرت الأيام .. وقال العصفور لرفيقه الى متى سنظل هنا في هذا السجن ؟! .)). فعمر أبو ريشة مثلا قد أعطى احدى قصائده عنوان ((عصفور في قفص)) وغيره كثيرون .. وهذا لا يمنع من أن يستفاد منه في مناسبات مختلفة وأنواع أدبية متباينة .

ومما يلاحظه القارئ فقدان عنصر التشويق الذى يشكل محورا جوهريا لمتابعة قراءة القصة .

وقد حاولت الكاتبة أن تعطي الطفل بعض المعلومات العلمية ، وأن تثريه لغويا ، وأن تعلمه أنواع الورود والزهور .

أما عنصر الخيال فقد حاولت أن تستحضره بشكل أو بآخر ، الا أنه غاب في معظم القصة كقولها على لسان العصفور: (2) ((أرى من بعيد جزيرة غارقة في الخضرة وألوان الربيع)).

1- مجموعة العصافير لا تحب الزجاج - ص 12 .

2- نفس المجموعة - ص 12 و 13 .

((ألا تشعر معي أن الطقس لا يتغيّر ... فلا يهب الهواء باردا ، ولا تسمع صوت الريح عند المساء والصباح كما اعتدنا سماعها في الحقول الواسعة)) .

رجاء أرناؤوط و : (للخروفان) ، و (النحلة) :

عنوان القصّة : (الخروفان) .(١)

القصة حوار بين خروفين أحدهما أسود والآخر أبيض اللون مغرور بنفسه متعال يرفض أن يقترب منه أحد ، وفي أحد الأيام اقترب منه الخروف الأسود يشاركه المرعى فثار غضبه وأراد طرده ، ولكن الخروف الأسود حافظ على هدوئه وحاول أن يفهمه خطأه ..

وازدادت ثورته تأججا عندما ناداه : (يا أخي) . وقد رافق غضبه توبيخ للخروف الأسود وتوجيه الاهانات ، مما جعل الخروف الأسود كيهما نشبا شغباء عالما تجمع على أشمره التكيم بين الخراف السود والخراف البيض . عند ذلك فهم الخروف الأبيض أنهم جميعا من فصيلة واحدة ، ويجب أن تحب بعضها بعضا ، وأن تتعاون فيما بينها .

القصة تحارب العنصرية . ((عندئذ خجل الخروف الأبيض من عمله وطلب السماح من الخروف الأسود ، وقرر منذ ذلك اليوم أن يلعب ويأكل مع كل الخرفان دون تمييز)) .(٢)

وقد وفقت الكاتبة بتبسيط الفكرة بشكل يناسب

١- قصة الخروفان (قصة واحدة)
٢- قصة الخروفان ـ ص 8 .

الأطفال ، وتعني تعلم الداخل الابتعاد عن الغرور والتكبر ، كما تحثه على التعاون ((.. غضب الخروف الأسود ، وظل داخلها الغبدة ... وفجأة .. أقبلت جماعة من الخرفان ذات الألوان السوداء والبيضاء ..))[1] ، وقد جاءت الرسوم مرافقة لأحداث القصة ، وبشكل مناسب ، والخط واضحا مع الشكل .

أما قصتنا (النحلة) ... فهي تروي لنا ذهاب زينة وأخيها مالك الى الغابة للاستمتاع .. بمناظر الطبيعة الخلابة ... ومشاركتها أفراحها . وبعد أن تعبت زينة استلقت على العشب الأخضر لتظهر فجأة نحلة تنتقل من زهرة الى زهرة ، وحاولت زينة أن تعرف السر ولما لم تستطع استفسرت من أخيها الذي أفادها في هذا الأمر ، ولم يكتفيا بذلك ، بل تابعا النحلة حتى وصلت خليتها .. وهناك تعرّفا على العمل المتقن والمنظم للملكة وأبنائها ...[2]

في هذه القصة نجد ان الكاتبة حدثت الأطفال بلغة بسيطة وبهيجة ، وقد ابتعدت عن الاستطراد ، وأسلوبها جاء نقيا صافيا ..

1— قصة الخروفان ، (قصة واحدة) ص 7 .

2 — قصة النحلة ، (قصة واحدة) . .

((أقبل الربيع بثوبه الجميل))[1]، ((ذهبت زينة مع أخيها مالك الى غابة قريبة من المنزل ، أخذت تلعب في الغابة ، تقطف من هنا زهرة ، ومن هناك تشم رائحة البنفسج الذي يفوح)) . وأكثرت الكاتبة من الجمل الفعلية التي من شأنها تحريك انفعالات الطفل ((وفجأة رأت[2] نحلة جميلة تقف على وردة ثم تطير الى زهرة ثم تلامس أزهار الأشجار العالية)) .. كما أن موضوع القصة واقعي غير خيالي ، ولكن لغة الكاتبة نشطت الخيال وجملته مثلاً لغنا يبتسم ابتسامة صدق لأحباشه الأطفال ..

((انظر[3] الى هذه النحلة كيف تحيط الخلية كأنها حارس ..)) .

والقصة تلقن الطفل بطريقة مُحَبَّبة درساً في الجد وفي معرفة قيمة العمل المنظم المتقن والتعاون أيضاً . ((أجل ان كل واحدة لها العمل المخصص في هذه الخلية .. وضع مالك يده على رأسه متأملاً ، أرأيت هذا النظام والاجتهاد من النحل .))

ولكن الكاتبة أجحفت في حق مالك المشروع فهي لم تتح الفرصة له ليلعب وأن يشارك

1– النحلة ص – 3 .

2– النحلة ص – 5 .

3– النحلة ص – 8 .

أختــة زينــة اللحــب .. أليــس مالــك طــفــلا ؟!..
أوليــس ذلــك يعــلم الطفــل حب الانفـــراد
وعــدم الرغبــة فــي الاختــلاط ، وبهــذا لــو
أتيــحت الفرصــة لمجمــوعــة مــن أصــدقــاء زينة
ومالــك للاستمتاع بتلك الطبيعــة الساحــرة وتــمدد
اختــارت الكــاتبــة النهايــة مصرنا لأبطالها الأطفال
ومــن المفــروض أن تختـــار الحديقــة لأنها تناسب
الأطفــال أكثــر عندمــا يكونــون بمفــردهــم .
الخط واضح جــدا مــع الشكل - الصــور وافيــة ،
معبــرة ، ومــؤديــة للغــرض . والقصــة مــن منشورات
الشركــة الوطنيــة للنشــر والتوزيــع بالجــزائــر ..
هــذه رحلتنا فــي القصــة الطفليــة النســويــة ،
فهــل أجابــت عــن السؤال الذى طرحنــــاه
فــي المقــدمــة ..؟
فــي اعتقــادي ان المــرأة الكــاتبــة ،قــد اختــارت
أسهــل السبــل ، وأيســرهــا ، فــلم تستطــيع
أن تــلامــس إلاّ سطــح عــالــم الطفــولــة رغــم
انهــا الأم التــي تصــب مشــاعــرهــا عمليــا فــي
تربيــة الطفــل لماذا وقفــت حــائــرة عــلى
مفتــرق الطــرق ، ولــم تصــل بعــد الــى مــا
يجــب أن تصــل اليــه مــن عمــق ورؤيــة واضحــة ؟
لمــاذا بــدت أقــل درايــة ، وأكثــر سطحيّــة

ومباشرة من أمها الرجل الا القلة النادرة مثل

ليلى صايا سالم والتي سنتعرف عليها في بدايات القصة

الملية ..

أسئلة كثيرة تتجمع في آن واحد لتخرج باجابة مفادها ،

ان المرأة قد ولجت باب الكتابة للطفل متسلحة

بالموهبة الفطرية ، واكتفت بذلك ناسية ان الموهبة

لا تكفي لصنع أدب مهما كان نوعه معتقدة ان الكتابة

للاطفال عملية سهلة لاتحتاج الى مقومات ثقافية

عالية ، ومرونة معرفية لما يحب الطفل وما يكره ،

وما يمكن أن يؤثر فيه أو لا يؤثر ، وما ينفره أو يرغبه

اللهم الا ذلك التحسس التلقائي كأم .

ان الموهبة كما أسلفنا في بحثنا تحتاج الى

سعة اطلاع ومتابعة متواصلة لما يكتب على

المستويين المحلي والخارجي .. ومن البديهيات

أنها تغذى بالمطالعة المستمرة ليتم تبادل

التجارب من جهة ولتتمخض التجربة الشخصية

التي هي بحاجة لتجارب جديدة من جهة

أخرى .

اذا ما وقفنا عند مفهوم الأدب القائل :

(ان الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية) .

ولا بد ان أشير الى نقطة أراها هامة

جدا وتتعلق بتصنيف أنواع القصص الطفولية النسوية - فالتصنيف يتلبس وضعا حرجا - لأن كل مجموعة قصصية تحتوي على أنواع أدبية متعددة ، الأمر الذى يضطرني لتكرار الأسماء والمراجع . وهذا في نظري يخلق لمتتبع هذا البحث صعوبة كبيرة في العودة الى الأصل وربما وجد نوعا من الملل ، وحسب اعتقادى ، واعتقاد الكثيرين ، أن أى بحث يحتاج الى ازالة التعقيد قدر المستطاع ، وايجاد نوع من التشويق التلقائي حتى يتم التواصل مطبوعا بين الباحث والمتلقي ...

بعد هذه الرحلة المتعبة حقا ... الماحشة من مرفأ للاستراحة القصيرة على الأقل ... أجد نفسي مشفقة على نفسي ... ولا بد من شجرة تظللني ... ومن ينبوع أغتسل به للحظات ... وعصافير تعزف على الاغصان لحنا طفليا دافقا ودافئا أيضا ...!!

لا أدري لماذا أشعر برغبة شديدة لذلك ... ألأنني وصلت الآن الى ((حكايات شجرة التوت)) (1) للكاتب رفيق خنسة ..؟ ربما ولا أجد مانعا من أن أقص الحكاية الأولى من هذه المجموعة .

تتمحور القصة في اختلاف الأطفال والعصافير والبقرة والينبوع حول ملكية شجرة التوت الوارفة الظلال ، الكل يريد أن يثبت ملكيته لها ...

فالأطفال يقولون : ان شجرة التوت لنا ، نحن نحبها ونتفيأ تحت ظلها ونأكل ثمرها في الصيف .. أما العصافير فهي تصر قائلة : شجرة التوت لنا نبني عليها أعشاشنا في فصل الربيع ، ونغني بين أغصانها نشيد الحياة .. ونأكل حب التوت الناضج . ويأتي دور البقرة لتقول : ان شجرة التوت لي ، وهي

---

(1) مجموعة حكايات شجرة التوت ص9 الصادرة عن مطبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٧٩

تهدهدونني طوال فصل الصيف ، وتطعمونني ورقها الطيب في الخريف كي يزداد حليبي ، ويكثر لحمي .. أما اليرموع فقد ظل صامتا هادئا يستمع الى نقاشهم .. ولكن هذا الصمت لم يدم طويلا حيث تحول الى احتجاج صارخ ((لماذا تختلفون على الشجرة ؟)) ((إنها لي وحدي)) (1) فاذا غضبت منعت الماء عنها فتجف وتموت .

وظلت الشجرة مبتسمة وهي تستمع الى حوارهم ثم نادت الجميع قائلة : أنتم أحبائي جميعا وأنا لكم دائما ، فصفق الجميع صائحين : ((تحيا الشجرة)) ((تحيا الشجرة)) ... (2)

من خلال قراءتنا لهذه القصة نجد أن الأسلوب سلس ، هادف ، يزود الطفل بمعلومات علمية وبطريقة غير مباشرة ويظهر ذلك في قول الأطفال ((نأكل من ثمرها في الصيف)) وهذا يعلم الطفل ان ثمر التوت ينضج في الصيف وبهذا لو جاءت كلمة الناضج على لسان الأطفال ، لا على لسان العصافير ((فغضبت وزقزقت بصوت واحد ؛ شجرة التوت لنا نحن العصافير بين أغصانها نغني ونبني أعشاشنا في الربيع ونأكل حبب التوت الناضج في الصيف .)) (3)

كذلك ((قال اليرموع)) ((انها لي وحدي أنا (4)

1ـ حكايات شجرة التوت ـ ص 10 .

2ـ نفس المجموعة ـ ص 11 .

3ـ نفس المجموعة ـ ص 9 .

4ـ نفس المجموعة ـ ص 10 .

أسقيها اذا عطشت ، واذا غضبت منها قطعت الماء عنها ، واذا لم تشرب يبست ، فلا تنبت ورقا ولا تطعم ثمرا ولا تلقي ظلا)) .

كما تعلم هذه القصة الأطفال محبة الآخرين من خلال حب الشجرة للجميع - ((قالت الشجرة بصوت حنون عذب - أيها الأصدقاء لا تتخاصموا ... ولا تختلفوا ، أنا أحبكم جميعا فلا تتشاجروا ، ان غصوني وورقي وظلي لكم جميعا)) .

أما الحوار الذي أشار الكاتب فهو حوار ممتع يناسب الأطفال في سن الثالثة حيث يميل الطفل في هذا السن الى حب التملك ، وهي نزعة فطرية لا مفر منها كما تعلمهم الابتعاد عن الأنانية والانفراد بالشيء . ويظهر ذلك واضحا من خلال دعوة الشجرة للجميع واحتضانها لهم ، وافهامهم أنها للجميع . وان القلب بإمكانه أن يعطي الكثير من الحب والحنان للأصدقاء والأحبة ... وهذه صورة انسانية رائعة . أما النتيجة فهي تغرس في نفوس الأطفال حب الشجرة ووجوب المحافظة عليها وعلى خضرتها الجميلة . ((صفق الأطفال والعصافير والبقرة وغنوا بصوت واحد - تحيا الشجرة)) .

ومجمل القول : ان صور القصة جميلة ، وتدل في نفس الوقت على الروح الانسانية والصفاء

البيئي الذي يتمتع به الكاتب شخصيا ...
ويتجلى ذلك في صفات أبطال قصته وخاصة الشجرة المعطاءة التي هي محور أساسي في هذه القصة . فهي تعلم الطفل تجاوز الحدود الذاتية والبعد عن الأنانية وتخلق في نفسه حب النقاش والتوصل الى نتيجة ايجابية .. فهي إذن .. تساعد على تقويه تكامله وافراغ ما في داخله من حبه للتملك والانفراد بالشيء ... وتأخذ بيده للاندماج في الحياة الاجتماعية ...

هذ عن الحكاية الأولى .. فماذا عن الحكاية الرابعة ؟

(1)
الينبوع المغرور ...

في هذه الحكاية يحدثنا الكاتب البارع ويهمس خلسة عن الينبوع وشجرة التوت .. وذلك من خلال حوار ممتع ، يبدأ الينبوع بمدح نفسه وتميزته عن الشجرة بتفضيل نفسه عليها .. دون أن تقابله شجرة التوت بالقسوة التي قابلها بها .. بل قالت له : أنت طيب وكريم .. الا أن الينبوع اعتقد أن الشجرة

1- مجموعة حكايات شجرة التوت ص ٢٣

تسخر منه ... بعد أي استطاعت أن تقنعه بأنها تحترمه حفاظا على حق الجيرة الذي يفرض علينا أن نتعاون فأنت تروى عطشي وأنا أفرد ظلي عليك لأقيك حر الشمس ... ومع ذلك رفض الينبوع حديثها ، واتهمها بالغرور معتقدا أن شموخها يجعلها تعتبر نفسها سيدة هذا المكان ... وهددها بقطع الماء عنها ...... (1)

ولا طفته الشجرة قائلة : ((أنت سيد وأنا سيدة)) وكل واحد منا يقدم الخير والمساعدة لأهل القرية ، ولم الغضب واثارة الشغب ؟ ولتعلم يا عزيزي ، اذا مت فأنت ستموت ، ولكنه لم يقتنع بل زاد غضبه فضها وظل متشبثا بموقفه الى أن جاء فصل الصيف ، فقل ماؤه وجف - بينما بقيت الشجرة تشرب الماء من خلال جذورها الضاربة في أعماق الأرض ، ((غضب الينبوع وامتنع عن الكلام مع شجرة التوت ، وجاء صيف حار جدا ، قلت مياه الينبوع ، ولكن الشجرة مدت جذورها بعيدا في أعماق الأرض ، وشربت ماء كثيرا ، تبخر قسم كبير منه في الهواء الساخن ، واستمر الصيف

1- حكايات شجرة التوت ، 24

الجار حتى جف الينبوع تماماً في شهر أيلول ، الخ ..)) فساد الجو ساكناً يطلب المعونة والمساعدة ... فلما تنبه بأن الماء تبخر وسيهطل مطراً غزيراً بعد أن يتشكل غيماً .. ((قالت الشجرة ، اهدأ أيها الجار العزيز ! لقد تبخر الماء كثيراً ، وسيعود لنا غيماً ومطراً وسيرجع إليك الماء قريباً)) ..[1]

فاعتذر عن موقفه الخاطئ .. وشكر لها جميلها الذي أعادت الأمل ..!!

وجاء الشتاء فيعود اليه الشباب والحيوية .. وتعود الصداقة بينه وبين جارته شجرة التوت ..

ان ما يلفت الانتباه في هذه القصة أن الكاتب قد أعطى دورا هاما للأنسنة : ((قال الينبوع ، فغضب الينبوع وامتنع عن الكلام مع شجرة التوت ، وراح يشكر شجرة التوت)).. وهذا شيء جميل ومحبب للأطفال ، الى جانب مزج الكاتب الخيال بالواقع ..

وما يتعلق بالقيم الجمالية .. فقد حافظت القصة على الأهداف الرئيسية للتربية ومنها سعة الصدر التي ترفض النقد .. وتفتح بابها لتراجع المخطئ عن خطأه .. وذلك من خلال موقف الشجرة من الينبوع في النهاية .....

1- حكايات شجرة التوت ص 25

(1)

((اهدأ أيها الجار المزمجر .. لقد تبخر الماء كثيرا وسيعود لنا غيما ومطرا وسيرجع الماء لك قريبا)).

وقالت له أيضا ((لا تكن يائسا ، ابق في مكانك ، لقد اقترب فصل الشتاء ، يحمل معه مطرا غزيرا ، وسوف تعود شابا فتيا كما كنت الخ ..))

فيعتذر الينبوع للشجرة ((لقد أخطأت معك أيتها الجارة سامحيني الخ .)) كما تعود الطفل على الصدق دائما والثقة بالنفس و بالآخرين ((وجاء الشتاء ، كان يحمل معه مطر كثيرا كما قالت شجرة التوت الخ .)).

وهي بالاضافة الى ما تقدم تقدم الحقائق العلمية مسلسلة ، يستطيع الطفل أن يهضمها بسهولة ووضوح : (علاقة حياة الينابيع بالأشجار والمطر .. الماء الذي تشربه الشجرة يتبخر ويتحول الى غيم يسقط مطراً . الخ

((ردت الشجرة : ياعزيزي اذا مت من العطش ستموت أنت أيضا ، وتنقطع عنك المياه ، أنا أشرب ماءك ، ولكن هذا الماء يتبخر ويتحول غيما ، ثم يهطل مطرا ، ويعود لك ماء عذبا ، فلا تفتخر إذا مت أنا فستموت أنت .)).

اذن فهي تعد الطفل اعدادا نفسيا واجتماعيا فتزرع في نفسه الطمأنينة والراحة من خلال التعاون والثقة والصدق .. وهي من الناحية الاجتماعية تعمل

1- حكايات شجرة التوت - ص 25 .

على كبح جماح الغضب، وعدم مقابلة الشر بالشر، وهذا يغرس في داخل الطفل حب الخير والعطاء، ووجوب تكوين علاقات عامة هدفها الخير للجميع ... كما تفهم الطفل أن الحياة السعيدة هي المتمثّلة بالحياة الاجتماعيّة . 1 ، ويظهر ذلك من موقف الشجرة الايجابيّ المرتكز على عدم التخلّي عن الينبوع في ساعات الشدّة. وهذا يعزّز رأينا الذى ذهبنا اليه، والمتجسّد في أن الكاتب قد دخل القصّة من باب واسع ... بحوار شيّق .

ومن كتّاب القصّة القصيرة المتميّزين في سورية ((زكريّا تامر)) ، والذى هو من أوائل من أدلوا بدلوهم في ينبوع الطفولة المتدفّق ، فرسم طريقًا اتسم بالجدّة والجاذبيّة، وتفاعل موضوعيًا والواقع الذى نعيشه ، واذا بقصص الأطفال في أدبه تحمل رمزا شفافا ، وخلفيّة عميقة، وثقافة واسعة. وهذا طبيعي ، فزكريّا تامر يعرف بوعي لمن يكتب . ونسوق هنا نموذجين لقصصه الأول : ((ما جرى لدجاجة لا تفكّر)) (1) ، والثاني : ((ملك عصافير الدورى)) (2) .

— في النموذج الأول يعقد الكاتب لقاء بين دجاجة يطاردها ثعلب من مكان الى مكان ليأكلها، وحمارين تستشيرهما في كيفية التخلّص من هذا المأزق . يشير عليها الحمار الأول، بأن لا تيأس ((فاليأس مرض موذ والمصاب به مهزوم لا محالة)) . الآن الدجاجة

1— صحيفة المساء ص 8 تاريخ 1986/11/3 .

2— صحيفة المساء ص 8 تاريخ 1986/9/29 .

لم يسرق لها هذا التفاؤل ، لأن ((الكلام المتفائل سهل على من لا يطارده ثعلب ذو أنياب تقتل)) . مما حدا بالحمار الثاني للقول : ((اذا ماذا ستفعلين ؟)) . وما كان من الدجاجة الآن قالت : ((أنا مجرّد دجاجة مسكينة لا تقوى على التفكير في أحوالها)) .

وتطوّع الحماران للتفكير نيابة عنها ، وباعتزاز قال الحمار الأول : ((نحن مشهوران بتفكيرنا العميق)) ، ويوافقه الثاني بهزّة من رأسه ، وقادهما التفكير بعد طول المشاورة الى الادلاء بنصيحتهما : ((النمر يكره الثعلب ، فاذا ذهبت الى النمر شاكية فلا بدّ من أنه سيخلصك من عدوك)) . وأثلج صدرها ، ((وقصدت النمر باكية شاكية)) ، ولكن المسكينه لم تتمكّن من اتمام حديثها ((بسبب حادث مؤسف مفاجئ جعلها تستقر في معدة النمر)) .

ان هذا الاستقرار في جوف النمر يبعث عالما طفوليا مرحا ، يعيد الكبير الى طفولته ، رغم الواقع المأساوي ، وهذه لفتة ذكيّة من الكاتب تدل على روحه المرحة وعمق تجربته .

ولا يخفى علينا حسن اختيار البطل لهذا الموقف ، فموت الدجاجة مألوف .

أمّا البطلان المفكّران ، فقد أحسن استخدامهما ، لسببين هامين ، الأول اثبات بساطة الدجاجة وسطحيتها ، وعدم قدرتها على التفكير ، واتكاليتها ، وقبول النصيحة على عواهلها دون تمييز بين الغباء والذكاء ؛ وثانيهما : الغرور الأعمى ، والادّعاء الأجوف المتمثّل في الحمارين ((نحن مشهوران بتفكيرنا العميق)) .

وهدف الكاتب من وراء ذلك أن السذاجة تقودنا الى قول الشاعر :

كالمستجير من الرمضاء بالنار) .

كما أن الاعتداد بالنفس الذى في غير مكانه يسير بنا الى النهاية .

وأخال " زكريا تامر " يهمس قائلا :

الثقة المطلقة البعيدة عن الحذر ، والاعتماد الكلي على الآخرين دون فرز ، وتقبّل الآراء كما هي بلا وعي أو ادراك ، كل ذلك يضع الانسان كريشة في مهب الريح .

والممتع حقا في هذه القصة ، اختيار الكلمات والتعابير البسيطة المعبّرة ، والموحية في آن واحد .

((أبشرى :. . ! ! زال همّك وغمّك . أطلقت الدجاجة صيحة غبطة . أعجبت الدجاجة بالاقتراح ، وبادرت الى العمل به)).

ومما يزيد في تفاعل الطفل مع هذه القصّة تلك الرسوم المتناسقة، المعبّرة عن الشكل والمضمون .

أمّا النموذج الثاني : ((وملك عصافير الدورى)) فيتحدّث فيه عن نسر فخور بقوته وبطشه ، وأنانيته ، يعلن أن السماء ملكه الشخصيّ ، فيمنع الطيور من التحليق فيها ، ((خافت الطيور ، وأطاعت أوامر النسر)) وراحت تبحث عن مأوى على سطح الأرض ((وحط عدد من العصافير الدوريّة على رقعة أرض يقيم فيها قط شرس أسود اللون)) . لايروقه الآ أكل العصافير الدوريّة ، فطنت العصافير لذلك ، وبعد مشاورات طويلة اهتدت الى حل يتلخص في تتويج القط ملكا عليها ، طمعا في أن يكف عنها ... ((دهش القط فابتسم ابتسامة متجهّمة ماكرة ، وسارع

الى الكلام ، فشكر للعصافير الدوريّة ثقتها به ، وألقى خطبة طويلة ، جميلة ، الكلمات أقسم فيها أنّه سيكرّس كل ما يملك من قوّة على حماية العصافير الدوريّة ، والدفاع عنها)) . وكم كان ترحيبها بالخطبة حارا ، واعتقدت أنها كانت مصيبة وحكيمة ، ولكن الى حين ، اذ اكتشفت فجأة بأنّه عاد الى عادته القديمة ، محاولا أكلها بنهم ، ممّا دفعها الى التحليق في الجو هربا من الملك المتوّج .. !! وعندما رأت باقي الطيور ، عصافير الدوري تحلّق في الفضاء لحقت بها واتّجه الجميع ((نحو عش النسر حانقة ساخطة ، نظر النسر الى الطيور المقبلة نحوه كسحابة سوداء مخيفة ، وتوهّم لحظة أن عينيه تخدعانه)) . وسرعان ما تبدد هذا الوهم باقتراب الطيور ((متوعّدة محتجّة)) من غير أن تكترث بتهديده ووعيده ، بل ((قال طير من الطيور للنسر : أيها النسر ، أنت قوى حقا ، ولكننا اذا هاجمناك مجتمعين فسنكون أقوى منك ، وسنهزمك أبشع هزيمة)) . وتبعه ثان بغضب : ((لماذا الكلام والانتظار ؟ هيّا ننتف ريشه ريشة ريشة)) . وفكّر النسر بسرعة فتراجع عن قراره بضحكة ((حاول جهده أن تكون مرحة لا مبالية)) . معللا أوامره السابقة بأنها ((كانت مجرّد مزاح ، وأن السماء هي ملك الطيور جميعا)) . وكم كانت فرحة الطيور عظيمة بهذا الانتصار ،

هذه القصّة تبدو مضغوطة لزخم الأفكار ، وبعد المغزى وكثرة المواضيع التي يرغب الكاتب في ايصالها الى قرائه ، فهي تعالج الأنانيّة والاستبداد ، فالقوي يأكل الضعيف

دون رحمة أو شفقة.. وقد تمثّل ذلك في النسر..

أمّا القط الأسود الشرس العدو اللدود لعصافير الدوري، وتتويجه ملكا للتخلّص منه، فهذا رمز للتفكير غير المجدي، والذي يضع الأمور في غير مكانها، فيعتبر الانسان نفسه ذكيا ولا يحسب حسابا لذكاء عدوّه الذي وفّق في صوغ العبارات الجميلة، والكلمات المغرية، وقطع الوعود الكاذبة.. حتى تحين الفرصة فينقضّ على الجميع دون هوادة أو رحمة..وفتشتدّ الأزمة لتنفرج في أخذ حريّة التحليق رغم أنف النسر، وذلك بعد أن اتحدت جميع الطيور، ووقفت وقفة واحدة في وجه العدو الغاشم، فأجبرته على الخضوع والرضوخ، وهذه اشارة متدرّجة، الى وضعنا العربي الراهن، والذى لا يمكن الخروج منه، ومجابهة العدو الا بتراص الصفوف، والوحدة، التي من خلالها نستطيع أن نهزم أكبر القوى العاتية.

ربما لا يستطيع الطفل أن يستوعب كل هذه المضامين الا أنها تساعده على التفكير..و الخروج بخط عام واضح.. فيعرف أن النسر، رمز للقوّة والجبروت والأنانيّة، والقط الأسود عدو ولا يمكن أن يكون صديقا في يوم ما، ولا نستطيع درء شره بهذه الطريقة، فالتعاون هو الدرب الوحيد لهزيمة الأعداء مهما كانت قوتهم.

أمّا الكلمات، والتعابير في القصّة فمناسبة، والرموز المنتقاة جيد معبّرة، فالطيور الضعيفة – مثلا – عندما اتّحدت استطاعت أن تنتصر على النسر الجارح. أمّا الرسوم فموفّقة الى حد كبير.

لبيلى صايغ ــ عالم

في (رحلة)

بعد رحلتنا الأولى مع المرأة الكاتبة .. ندخل عالم الطفولة مع الكاتبة ليلى صايغ ذات الأسلوب الجميل والحلم الأجمل .. ؟؟ وقد رسمت بعض الملامح للقصة الملهمة دون أن تتقصد ذلك .

هل باستطاعتنا ربما ... فليلى صايغ بعالم من هذا النوع الذى نبحث عنه ، ومجموعتها (رحلة حمار يدعى غندور) تحمل بعض المواصفات المستجدة لما نريد .. فهذه مثلا قصتها ((الطفل الذى يحب الغيوم)) والمدرجة ضمن قصص المجموعة ،(١) أحد النماذج الحية لما ذهبنا اليه .. وفحواها أن ؛ سامراً كان يحدق في السماء فالتقت عيناه بالغيوم التي يحبها حبا لا مثيل له ، فطلب من الريح التي تسوق الغيوم أن تهبه غيمة صغيرة ... ومقابل ذلك طلبت الريح منه أن يغني لها أغنية ، نالت اعجابها فأعطته غيمة أسكنها غرفته بعد أن أحكم غلق نوافذها . فأصبحت الغيمة حزينة ... حزينة ... دهش سامر من هذا الحزن فخاطبها

١ـ مجموعة رحلة حمار غندور ص ٤٣
طبعتها وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٨١

قائلا لم انت يا صديقي حزينة ، ارقصي ..
كوني زورقا ... كوني فيلا ... كوني سمكة .
فردت عليه تسائلة ؛ انني لا أستطيع ان أفعل
شيئا وأنا سجينة . وطلبت منه أن يفك سراحها .
وذهب رجاء سامر لها أدراج الرياح ، فلقد
أصرت على الرحيل رغم اعجابها بصوته الملائكي
الجميل الذي ذكرها بصوت جدول صغير صافحته
يوما في احدى الحقول .

ولما لم يجد سامر مبررا كافيا لهذا الرحيل
أفهمته أنها مضطرة لذلك لأن عملاً هاماً ينتظرها ..
فقد كلفها البحر بمهمة لا يمكن أن تتخلى عنها ،
هذه المهمة المتجسدة في ارواء الأرض العطشى الواقعة
في الجهة الشرقية ... ولما سألها سؤالا يدل على
تعلقه الشديد ببقائها أجابته اذا بقيت الأرض عطشى
تموت البذور المزروعة ، فيضيع محصول الفلاح ...
وما أن سمع جوابها حتى أسرع في فتح
النافذة لترتفع الغيمة في الفضاء مشكلة قاربا
يحمل شراعا ، وحياها فرحاً وانبسطت أساريره
عندما تمايلت وتمددت من جديد - فشكلت فتاة
رائعة الجمال مبتسمة لسامر الذي لوح لها
وهو يحدق فيها بانبهار حتى غابت عن ناظريه .

وللحقيقة فقد استطاعت الكاتبة أن ترافق دنيا الطفولة في قصتها هذه بأسلوب ساحر تماوج فيه الخيال بحنان ورقة ... وقد تمثل ذلك في أسئلة الغيمة وإجابات سامر وامنياته .. سألته ((من أنت؟[1] ((أجاب سامر ((أنا طفل يحب الغيوم)) .

وان تحوّل الغيمة الى قارب يحمل شراعا والى فتاة رائعة الجمال .. يخدم الخيال بشكل واضح ، وبقوية وان هذا الرمز الشفاف أضفى على القصة جمالا ساعد في ادخال السرور والسعادة الى قلب الطفل سامر ... ((صفق سامر فرحا))[2] . كما أنه لعب دورا هاما في تقديم قيمة تربوية تتلخص بوجوب تلبية طلب الأصدقاء قدر الامكان ولا ننسى ، ان القصة تعلم الطفل ان الغيمة تتحول الى مطر يسقي الأرض ، وبدونه تختنق البذور ويموت المحصول .

سألها سامر : اذا لم تذهبي الى تلك الأرض البنية التي تطلب الماء ماذا يحدث؟ .
أجابته الغيمة ((تبقى الأرض عطشى ، تموت[3] البذور الصغيرة المخبأة في جوفها ، ويبقى

١ـ الطفل الذي يحب الغيوم ـ مجموعة رحلة حمار يدعى غندور ص 44

٢ـ نفس المجموعة ص 47
٣ـ نفس المجموعة ص 46

الفلاح بلا محصول)) . وقد ابتعدت الكاتبة ، عن وضع صفة (سوداء) للغيمة تبنها للهن الذي يمكن أن يتصوره الطفل بالنسبة للون الأسود الذي يدل على الغيمة ((نظر سامر الى السماء فرأى غيوما تركض نحو الشرق)) . وهذا يتناقض بالتالي والعطاء المتدفق للغيمة . فقد أحسنت صنعا بعدم وضع هذه الصفة ، كل ذلك جاء في القصة من خلال أسلوب مجازي يناسب ادراك الأطفال ، مثل ((ضحكت الريح))[2] - ((أحببت الغيمة)) ((صمتت الغيمة وانكمشت في السقف حزينة)) ((قالت الريح ...)) ((استمعت الريح الى أغنية سامر)) .[1]

فالصور الواقعية جاءت قليلة ومنسجمة مع جوهر القصة وخيالها .

وهي تعلم الطفل بأن الحرية أثمن ما في الوجود ، واذا ما تهددت فلا يمكن للانسان أن يؤدي عملا مفيدا ونافعا .

أما مآخذنا على هذه القصة ، فيتلخص في الحرية بمعناها الذي ورد في القصة ، والمعتمد على الترجي والتوسل ((هل تطلقين البقاء؟)) .[3] ((كلا .. أرجو أن تتركني أرحل)) وهذا يتناقض تماما مع المثل القائل : الحرية تؤخذ لا تعطى ..

1— مجموعة رحلة بحار يدعى غندور . ص 43
2— نفس المجموعة ص 44
3— نفس المجموعة ص 46

وربما مالت الكاتبة الى ذلك التعريف غير المباشر لمعنى الحرية لاختلاف العلاقة .. فعلاقة الغيمة وسامر علاقة صداقة ومحبة ومودة ، وبالامكان أن يضحي الانسان بأشياء كثيرة في سبيل صديقه ... اذا لم تتعارض هذه التضحية مع (الأنا العامة) ...

وما دمنا مع الكاتبة ليلى صايا سالم ، فلا بأس من أن نتناول قصة ثانية ، من نفس المجموعة تحمل عنوان : (سامر والثلج) (1) ..

ـ في هذه الحكاية تصور لنا الكاتبة كيف تعرضت الغيمة في الليل الى برد شديد ، جعلها ترتجف وتتناثر ثلجا أبيض بعد أن توضح لنا في المقدمة حب سامر للثلج ..

ولذا كانت فرحته عامرة عندما رأى بساطا أبيض ناعما يغطي صدر الأرض .. أما الأعشاب فقد كانت حزينة ترتجف من البرد .. وكم دعت الثلج أن يرحل عنها ... شأنها شأن الأرض التي ألحت عليه بالطلب مما وضعه في بحيرات الحيرة والاضطراب والحزن ، فرحب به جدول ، وطلب منه أن يذوب فيه ليزداد ماؤه فيتحول الى نهر ... الا أن الثلج بقي جاهلا الحقيقة حائرا مضطربا ، وفجأة حيته الشمس وغمرته بأشعتها ، فشعر بالدفء وبدأ يذوب مما أفرح الجميع الا سامرا الذى تزاحمت عليه الأسئلة :

الثلج صار ماء ، ولكن أين اللون الأبيض ؟ من أخذ اللون الأبيض ؟ ركض سامر يبحث عنه فلم يعثر عليه ... وعندما شاهد

1ـ مجموعة رحلة حمار يدعى فندور ـ ص 35 .

غيمة بيضاء اتهمها بأنها تسرق الثلج ...

فهبت وهي تقول : ولدت غيمة بيضاء ، وأنا لا أسرق .

والمتمعن في هذه الحكاية يجد أن الخيال لم يكن خيالا محضا كالقصة السابقة . ((اضطرب الثلج[1] واحتار . ، فهو لا يعرف كيف يرحل)) وان الحكاية قد قدمت معلومات علمية عن كيفية تكوين الثلج ، وكيف يتحول الى ماء بواسطة أشعة الشمس ، وهي معلومات قيمة مهداة تناسب أدراك الطفل .

أما استنطاق الغيمة وما يحوطها فهذا تحول يخدم المعلومات المعرفية والخيال معا ..

((ارتجفت الاعشاب الرقيقة فقالت للثلج الذي يغطيها[2])) ..

((عبست الغيمة وقالت :

((أنا لا أسرق[3] ... أنا ولدت غيمة بيضاء))

((مدت الأعشاب الصغيرة أعناقها المبتلة[4] وضحكت)) .

وقد جاءت اللغة سهلة مشبعة بالمعاني ، استعملت على سبيل المثال : كلمة ((يضرع)) ((سامر يحب الثلج كثيرا ... ((يفرشه كرات صغيرة ويضرع[5] فوقه)) بدلا

---

1 - مجموعة رحلة حمار يدعى غندور 35

2 - نفس المجموعة ص 35

3 — نفس المجموعة ص 38

4 — نفس المجموعة ص 37

5 — نفس المجموعة ص 33

أن تتحول بتقلب والسبب في رأيي يعود الى الفعل الخطري الذي صدر عن سامر ليجهر عن حجنة الكهنة للثلج ... ناهيك عن الجمل الايحائية الموحية كتولها ((عيبتنا الفضيحة)) [1] ، ((أنا لا أسرق)) . أنا ولدت غيمة بيضاء فكلمة عيبتنا تناسب الطفل وتشعره بأن السرقة شيء مكروه ، والتهمة بها أمر ليس سهلا ، كما تثير هذه الحكاية تفكير الطفل وتدفعه للبحث عن اجابات الأسئلة التي وردت فيها ... وانتهاء الحكاية بالأسئلة دليل قاطع على وضع الطفل أمام مشكلة تحثه على التفكير . ((الثلج صار ماء ولكن أين ذهب اللون الأبيض ؟)) [2]

والحكاية مليئة بالصور الجميلة ((مدت الاعشاب الصغيرة أعناقها المبتلة وضحكت)) . [3]

وكانت خلفية هذه الحكاية تكمن في ((النقاء)) المتمثل في لون الثلج ...

وما يمكن أن يتعرض اليه الانسان النقي من صعوبات .. ولا يخفى علينا أن النقاء صفة يتمتع بها الطفل .. إضافة الى ذلك فالحكاية

---

١ - مجموعة رحلة حمار يدعى غندور ص 38

٢ - نفس المجموعة ص 37

٣- نفس المجموعة ص 37

تتركز بطريقة غير مباشرة على إن اتهام الزير مرفوض بشدة ((تنفي أيتها الغيمة .. أنت من سرق اللون الأبيض ؟ ، عبست الغيمة وقالت : أنا ولدت غيمة بيضاء)) من خلال هاتين المرحلتين يتضح لنا ان الكاتبة : ليلى صايا سالم تتمتع بأسلوب جذاب شيق ، وعبارات أنيقة إلاّ مما ندر.. وبخيال فضفاض ... وبالفعل استطاعت أن تدخل عالم الطفولة بيسر ، وأن تؤثر وتتأثر بهذا العالم البريء الغض ..!!

الكتابة الجادة للقصة العلمية

يكاد يكون طالب عمران كاتبا متخصصا في هذا النوع والمتضمن قصصا من الخيال العلمي فبالنسبة مجموعته: ((صوت من القاع)) (1).

أولى هذه القصص تحمل عنوان المجموعة ((صوت من القاع)) (2):

وتدور القصة حول سفينة فضائية يقودها بطل القصة ((ماجد)) الذي فقد السيطرة على الأجهزة، ولتتعرض سفينته لأجسام مجهولة فاصطدمت بجدار من الفولاذ، مما أحدث دويا هائلا على أثره فقد الملاحون وعيهم ... وعندما صحا ماجد من غيبوبته، شعر بعيون خرافية تحدق فيه من كل الجهات - وتوقع أن تكون الكائنات الخرافية هي التي عالجته ورفاقه من هول الصدمة..

وبعد أخذ ورد يجري حوارا بين تلك الأجسام وماجد المهندس الفلكي، وعضو البعثة العلمية.. هذا الحوار الذي أخبرهم أن سفينتهم كانت تتجه الى كوكب زحل لتحط عليه. وعندما استفسر البطل عما حدث له ولرفاقه،

1- صوت من القاع: مجموعة قصصية من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٧٩

2- نفس المجموعة - ص 5.

أخبرته تلك الأجسام بأنهم فوق التابع (ميماس) أقرب أقمار زحل اليه ... وقد التقطوا بعد اخضاع السفينة لقوة الجذب ، كان الهدف منها حمايتة (ميماس) ودرء أخطار كائنات العوالم الأخرى .. ويستمر الحوار العلمي المفيد لتتكون في النهاية صداقة بين هذه الأجسام الغريبة وطاقم السفينة الفضائية رغم الميول الشريرة والعدوانية التي يتمتع بها أهل الأرض ، حسب ادعاءات تلك الأجسام .. وفي نهاية المطاف تودع سفينة الأبحاث (غاما) شاكرة سكان (ميماس مرحبة بهم على الأرض ضيوفا أعزاء واصدقاء .. ولم ينس الكاتب أن ينوه الى أن طاقم السفينة قد تلقّن درسا في الحب والسلام ... ولولا نزعة الخير المتأصلة في نفوس سكان (ميماس) لدمروا السفينة (غاما) .. وبعد عودة ماجد روى لزوجته الجميلة ما حدث ...

فتساءلت قائلة ، ما الذي يضمن لتلك الكائنات عدم الوقوع في فخ القوى الشريرة التي تسيطر على كوكبنا ..؟ .. ولما لم يتوصل ماجد الى جواب مقنع لزوجته ولنفسه أطرق بحزن وقد اعترته أحاسيس مبهمة اختلط فيها الأمل باليأس

ان هذه القصة كما نرى ممتزج فيها الخيال المجنح والواقع المخصب.

وقد وفق الكاتب أيما توفيق في ايصال فوائد علمية كثيرة ملفة مبسطة قدر الإمكان ...

((... وأخذ يرقب العدادات الالكترونية[1] ... التقط جهاز الرصد ... الخ لما لا يكون الاوكسجين متوفرا ؟ أنهم فوق التابع مباس أقرب زحل اليه)).

كما استطاع من خلالها أن يزرع في نفس الطفل بطريقة غير مباشرة ، الحب والسلام ..

((بالمباس الرائع وبالكائنات اللطيفة[2] تقدم لقنتنا دروسا في الحب والسلام ... كان بإمكانهم تدمير سفينتنا (غاما) لولا نزعة الشر المتأصلة في نفوسهم)) ، واستطاع أن ينزع من داخله ما يمكن أن يحتمل فيه من شر وضغينة ، وهو بالاضافة الى ذلك استطاع أن يثبت للطفل امكانية العيش بسلام حتى للأجسام الغريبة التي لاتعيش في كوكبنا - فكيف بالذين يعيشون معنا ...؟؟

انها في الواقع درس في التربية والأخلاق ، أملاه الكاتب على الأطفال دون تكلف ... معتمدا

1- صوت من القاع - مجموعة قصصية من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام 1979 - ص 5 .

2- المجموعة نفسها - ص 11 .

بموسع مدارك الطفل ... ويفتح باب المعرفة على مصراعيه ...

أما ما أخذنا على القصة بوجه عام ... فقد قدمت مسلسلات كثيرة أجنبية تروى القصة نفسها كما وردت عند الكاتب وكأنها مترجمة بتصرف عن هذه المسلسلات وخاصة مسلسل (سفينة الفضاء) ..

أما القصة الثانية من نفس المجموعة فعنوانها : (العوالم البعيدة)(١) . وتدور أحداثها في سفينة فضائية أخرى انطلقت من صاروخ ضخم ، هدفها البحث عن ماهية الأجسام الغريبة ، بعد أن أعيت الحيل أكاديمية العلوم العالمية لمعرفة هذه الأجسام ... فلا الأقمار الصناعية ، ولا السفن الفضائية الأوتوماتيكية ~~الملبئة~~ بالأجهزة المتطورة والعقول الألكترونية استطاعت أن تعرف شيئا عن هذه الأجسام التي تتحرك فرادى وجماعات في جو الأرض المشحون بالقلق والتوتر ..

وهكذا قررت هيئة الأكاديمية العليا المغامرة بإرسال نخبة من العلماء في شتى أقسام العلوم للتعرف على طبيعتها ...

---

١ - مجموعة صوت من القاع ، ص13 .

وتتخذ السفينة مسارا لها حول الأرض ، وقد بدأ الرادار يؤشر على وجود تلك الأجسام ، دون أن يتمكن (التلفزيون - اللازري) من رؤيتها ... وقد غزا الخوف والقلق صدور العلماء ، وخاصة بعد أن نبههم فجأة مهندس الاتصالات الى جسم ضخم يقترب من السفينة .. الى أن تجمدت حركات العلماء فجأة وبلحظات فقدوا وعيهم .. وحين صحا الفلكي العبقري الذي يترئم السفينة ، تعلقت نظراته في الفضاء المحيط بالجسم .. وبدأ بهبط ينعتق من القيود التي كبلت حركته ... وقد شعر بحواسه وتفكيره وذكرياته ، وما يربطه بعالم البشر ولكن دون جسد ، وكذلك زملاؤه ... وهذا بتأثير ذلك الجسم الغريب الضخم ..

ويجري الكاتب حوارا جميلا بين العالم الفلكي العبقري وذلك الجسم ... ليتعرف العالم بعدها على أن هذه الأجسام من كوكب (ليون) الذي يبعد عن الأرض سبع سنوات ضوئية ، والذي يحمل في ثناياه حضارة عريقة خنقت كل أنواع الشر ، كما تعرف الجسم الغريب من خلال الحوار الشيق ، على ما يحدث في الأرض من خلافه وحارك وتدمير واستعمار وحب للتقتل ... وحب للاستهلاك وغريزة السيطرة ... وبعد أن يستنكر

ذلك الجسم ، مثل هذه الأشياء ... يتقمص شخصية العالم الفلكي بكل جزئياتها الشكلية والنفسية ويهبط الى الأرض ، ليقف بنفسه على تلك الأشياء الفظيعة .. وبعد عودته الى السفينة استنكر بشدة تلك الأشياء العجيبة التي تحدث على الأرض من دمار ، ونفور ، وضجة تتلهى بتعذيب الناس ... وقد تمكن ذلك الجسم من اقناع العالم الفلكي بالتخلي عن الأرض والالتحاق بكوكبهم (ليسون) فيوافق بعد لأى ... وتطبع أوراق نعي العالم الفلكي ، وتلصق في شتى شوارع المدن الكبرى ... ويحس الأثير كائنات غريبة تشق طريقها نحو كوكب ليسون ذي الحضارة الفذة ... ومعهم كائن كان يبدأ يتحرك فوق سطح كوكب الأرض ... في الواقع أن الكاتب في قصته هذه والتي كتبها عام ١٩٧٢ ، يضمنها أسباب صراع قوى الخير والشر ... وهو صراع عنيف تتجلى فيه العظمة وتحقق فيه الانحدار .. انه يتحرك بأسلوبه العلمي الممتزج بالأدبي .. ويؤثر تأثيرا كبيرا في سيكولوجية الطفل الذى يتجاوز العاشرة ، فهو يحس ان العلم وجد في الأساس لبناء صرح الحضارة الانسانية ولخلق الانسان المطمئن - لا لتدمير

الانسان وتدمير حضارته. ((هل[1] تنون تدمير الأرض ؟ لو سلكنا هذا المسلك لما وصلنا الى هذه الحضارة أنصحكم اذن بالابتعاد عن جو الأرض فعندنا من يفتك ويدمر دون سبب)) . وقد أجاد الكاتب في مقارنته الموضوعيّة بين تلك الحضارة الفذة في كوكب ليون ، والمعتمدة على الاتحاد والتعاون والتخلي عن نزعة الدمار والفتك ... بينما وضع النقيض على الأرض ((.. أي أنكم تتقاتلون فيما بينكم ، الى حد كبير .. وما السبب أحب القتل أولا ، أو حب الاستملاك وغريزة السيطرة والاستعمار ثانيا)) .

اننا بحاجة ملحة لمثل هذه القصص التي تنمي في أطفالنا حب السلام والتعاون ... والعلم المرتكز على اسعاد البشرية .

أمّا ما يتعلّق بالألفاظ والتراكيب المستعملة فهي سلسة عذبة رغم وجود بعض المصطلحات العلمية التي يقتضيها المقام...

وهذه القصّة كسابقتها تغذي الطفل بمعلومات علميّة مفيدة ... وتوسّع من خيالاته وتصوراته وتخلق في نفسه النزعة الخيّرة ...

1- صوت من القاع (العوالم البعيدة) ص 18

((الخروج من الزنزانة[1])) .

وفي قصة ثالثة لنفس الكاتب ومن نفس المجموعة تحمل عنوان ((الخروج من الزنزانة[1])) . يتجلى أسلوب طالب عمران ليجمع بين الأسلوب الأدبي والعلمي بشكل جيد ومضمون الجيد .... يصور الكاتب في هذه القصة هروب البطل عالم الرياضيات الفذ ... من السلطان وتعرضه هو وزوجته للجوع والفقر الشديدين وبينما كانا مستلقيين على فراش رث .. لفت انتباه الزوج طائر غريب يرسل اشارات ضوئية ، وقد تبعه طائر آخر ليبعث اشارات أخرى ... ومن بعيد يستمع اسمه من أفراد الأجسام الغريبة ، وكم كانت دهشته عندما عرف أن الأجسام تعرف عنه كل شيء .

وفي حوار جذاب أخاذ بين العالم وأحد الأجسام تبين له أن هذه الأجسام كانت منذ آلاف القرون على الأرض .. وأجدادها الأوائل من المسحوقين الهنود الذين حاولوا جاهدين كسر بند الظلم والطغيان ، الا أن بطش الطغاة كان أشد

١- ص ٢٥ - صوت من الشعاع .

مما اضطرهم لصنع شلات محطمات فضائية ، هربوا بواسطتها الى كوكب آخر على الطرف الثاني للمجرة ، اذ غرس الأجداد في نفس الأحفاد وجوب العودة الى الكوكب الأم ومقاومة الظلم والاستبداد ، وأكد ذلك الجسم الغريب ، أن حضارة فذة قديمة كانت على الأرض تتفوق حضارة اليوم ...

حاولت هذه الأجسام أن تقنع العالم الرياضي بالذهاب معها الى كوكبها ، وقد أعطته جهازا صغيرا يضغط على زره اذا ما وافق على الذهاب الا أن المتنبي كان أسبق في قوله ((تجري الرياح بما لاتشتهي السفن)) فقد ماتت زوجة البطل ، وصحا ليجد نفسه محاطا بعساكر السلطان الذين ألقوا به في قعر بئر مظلمة ، ومارسوا عليه شهواتهم الفنية في التعذيب، عروه من ملابسه وألقوه على الزجاج المسحوق مرارا فيفقد وعيه ، ويسكب عليه الماء حتى يكمل التعذيب فصله ، ولا تسل عن الجرذان الكبيرة التي كانت تترقب عودته للبئر بفارغ الصبر فتنهش لحمه ، وينسى البطل الجهاز الذي أعطته له الأجسام .. ومن حسن حظه يدفعه السجان على درجات البئر فيسقط الجهاز ليكون في مأمن من جلاوزة السلطان ...

وكانت المفاجأة مذهلة للبلاديين الذين فوجئوا بهروب السجين .. على مركبة فضائية متجهة الى كوكب آخر ، هذا الهروب المستحيل .....

ويأبى الكاتب الا أن يعيد تلك الأجسام التي الأرض لتقاوم الظلم والطغيان بعد أن حرقت كافة مراكبها الفضائية حتى لا تهرب فيها مرة أخرى .

وهذه لفتة رائعة من الكاتب الى حرق طارق للسفن يوم أن فتح الأندلس ....!

قصة عذبة بالفعل يمتزج فيها الأسلوب الأدبي بالعلمي في انسيابية أخاذة (1) ((لفت نظري وأنا أتابع النجوم السارحة المتجمعة شيء يحرق .. اعتقدت في البداية انه يحرق .. وعندما ركزت نظري تمكنت من رؤية طائر من نوع غريب)) .

وهي بالاضافة الى كونها تعطي معلومات علمية مفيدة ، تقدم للطفل على طبق ذهبي مشرق دروسا أخلاقية قيمة ... كما تجذره في التراث ، وتجعله يقف على أرضية حضارية صلبة ..

والقصة أيضا يبرع كاتبها في تصوير الإستغلال والاضطهاد للكادحين ((تبدل (2) .. قرن خرجنا من هذه

1- مجموعة صوت من النجوم ص 26

2- نفس المجموعة ص 27

الأرض جبريا من طغيان حكامها وبطشهم ، كان العبيد - وهم الغالبية - يتعرضون لشتى أنواع التنكيل والقهر وينتشرون في بقاع الأرض يخدمون الطبقة المستغلة دون احتجاج أو مقاومة)) كما يسرع في التركيز على وجوب مقارعة الظلم معتمدا على المثل الشائع ؛ لا يفل الحديد الا الحديد .. (1)

ان وضوح الرؤية عند الكاتب تتجلى في رفضه الديموقراطي لأي نوع من أنواع الظلم والاستعباد .. ولا يتم هذا الرفض الا بوجود تنظيم حقيقي ، يعتمد اعتمادا مطلقا على الطبقة المسحوقة التي هي وحدها القادرة على تغيير بنية المجتمع بشرط أن تكون هذه الطبقة طبقة متنورة ((شكلنا تنظيما سريا تألف من بعض افراد الطبقة الوسطى وطبقة العبيد واستطاع هذا التنظيم أن يوقع بالحكام ارباكات واضطرابات أدت الى ردود افعال عنيفة)) .
(1)

هذا تعليق بسيط على المضمون فماذا عن الشكل ؟ مفردات منتقاة موحية ... ووصف رائع لكل أحداث القصة ، ومحافظة موضعة

١- المجموعة صوت من القاع 27

على وحدة القصة وانسيابها وعفويتها .. حتما ان طالب عمران يبهر القارئ بأسلوبه الممتع الجاد .. وثقافته العلمية المتقدمة ... وتنظيره المستقبلي المتطلع الى الحب والسلام الحقيقي ..!!

الفصل الثاني

آفاق القصة الطفلية وأساليب تطويرها

الكاتب في نظري هو رئة الزمن وشريان الدم المتدفق في جسد الحياة الخاصة والعامة وهو الى جانب ذلك ... يعمل جاهدا على تنقية الأجواء المحيطة به لتستطيع تلك الرئة أن تتنفس هواء نقيا .. فهل استطاع الكاتب العربي السوري أن يلعب هذا الدور عندما كتب للطفل ..؟؟! وهل تمكن بعمق أن يدخل عالم الطفولة من أبوابه الواسعة ؟ وأن يرسم معالم مدرسة أدبية متميزة ..؟؟

من خلال دراستنا لمجموعة من القصص المكتوبة للأطفال نجد أن الكاتب العربي السوري لم يستطع حتى الآن أن يلج عالم الطفولة بعمق الا ماندر وقد اكتفى بالدخول من النوافذ أو الاطلال من الشرفة . وهذا راجع لاعتبارات عديدة أبرزها : أن معظم الذين كتبوا للأطفال لم يكونوا على دراية بما يدور في نفسية الطفل وفي أجوائه ، كما كتب بعضهم ليثبت بطريقة قسرية أنه مازال

موجودا ... (ناهيك عن أولئك الذين لم يخبرتوا بمرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة ... واقتنعوا أنهم يكتبون ... وكفى)!!

وإذا ما أمعنا النظر يطالعنا نوع آخر من الكتّاب الذين يجهلون تماما ميول الطفل ونوعية القراءة القصصية التي يرتاح اليها ... لهذا كان لزاما على الكاتب أن يعي ويعلم بأن واقع فن القصة القصيرة يحظى بأكبر عدد ممكن من القراء الأطفال ، وان نوعية القصص القصيرة التي يرغبونها : الفكاهات والموضوعات الطريفة ، ويلي ذلك المقالات العلمية والرحلات ، وأقل الموضوعات استثارة هي المقالات السياسية . ومادامت القصة القصيرة هي المحببة والمفضلة بالنسبة للأطفال ، فلا بد لنا أن نثبت العناصر الفنية للقصة والمتمثلة في :

((الحدث ، الشخصيات - الحبكة - اللغة - الخيال - المغزى)) أو الهدف الذي يرمي اليه الكاتب .. ولا بد من التوكيد على ضرورة حمل القصة عقدة واحدة

(1)

(1)الحيوان في قصص الأطفال ، عيسى الناعوري ص 7 .

لأن الطفل لا يستطيع أن يربط بين أكثر من عقدة ، ومن المفروض أن يعرف الأديب مراحل الطفولة ، فلكل مرحلة بناؤها وهدفها الخاص ، فعلى سبيل المثال : لا يمكن أن نزج موضوعا سياسيا في المرحلة الأولى من مراحل الطفولة ، اذ يتعذر على الطفل أن يدركه بسهولة ، وما دمنا في مراحل الطفولة لا بأس أن نشير بسرعة الى تلك المراحل : فالمرحلة الأولى من (3 — 6) سنوات ، وفيها يتمركز الطفل حول الذات ، ولا يخرج عن نطاقها . (1)

والمرحلة الثانية من (6 — 9) وهي مرحلة الكون ، والأخذ بالاتجاه نحو العالم ، ومحاولة كسب المعرفة لأسرار الوجود والحياة ، أو بمعنى أوضح ارتباط الطفل بالواقع نتيجة نموه الادراكي والاجتماعي . والمرحلة الثالثة من (9 — 12) وهي التي تتمتع بالقدرة على الخيال والتخيل ، والتمييز بين الأشياء . هذا الخيال

1— أدب الأطفال في الوطن العربي — مجدل علي — مجلة المعلم العربي ، ص / 126 / .

الذي يجب أن يراعى لكي يصبح ابتكاريا بجنح
من خلاله الطفل الى رؤية العالم بعين البصيرة..
أي بمعنى محاولة الطفل تقييم الأشياء والتمييز بينها
كما أسلفنا ... فيتخلص تدريجيا من الادراك الحسي
الى الادراك المجرد ، وهو ما يسمّى في علم النفس
بالذكاء النظري .

المرحلة الرابعة من (12 — 15) وتعتبر أرقى مرحلة
حيث ينتقل الطفل من مرحلة الطفولة الى المراهقة
وتترسّخ فيها القيم والمثل .. !!

ومعرفة الكاتب لطبيعة التوجّه ونوعيته يفتح أمامه
آفاقا واسعة .

ومن هنا نستطيع القول بأن الأطفال في المرحلة الأخيرة ...
يقبلون بشغف على قراءة القصص الخيالية أكثر من
اقبالهم على القصص التاريخيّة أو الرحلات .. وهذا
يجعلنا نلح على هذه الظاهرة الصحيّة في مثل هذه
السن شريطة أن لا تستمر الى ما لا نهاية. اذ يجب
تخطّيها ، والتمتع بالقصص الواقعية ... والا أعيق
تقدّم الطفل ، وأخر نموه .. فالفائدة المرجوّة من

قراءة قصة ما تندرج في اطار تنمية رصيد الطفل اللغوي والنفسي والذهني ، ولا يخفى علينا ان التعبير من أهم الحاجات للطفل ... ومن الضروري أن نشرّع لينمو الطفل سويا ، ويصبح فيما بعد قادرا على الاستقلال الذاتي ، والابداع ، والتكيّف مع عالم الواقع المتغيّر باستمرار . فالتعبير يلعب دورا رئيسيا في تطوير شخصيته ، وهو الذى يحقق الاتصال والتواصل بين الدائرتين المركزيتين (العالم الداخلي للطفل ، والعالم الخارجي) . وهو يغذى الجانبين التعليمي والترويحيّ . وخاصة اذا عرفنا ما للقصّة من سلطان كبير في السيطرة على الأفكار والقلوب ، فهي التي أنجت شهر ازاد من مصيرها الأسود الذى ينتظرها . ولا نضيف جديدا اذا قلنا أن الشخصية في قصص الأطفال تلعب دورا كبيرا في عملية تشويق الطفل وربطه بأحداث القصّة ، فالحوادث تحركها أبطال القصّة لذا فاننا نعتبرها بمثابة الروح للجسد . وهذا يقودنا الى القول : بأن كل طفل يملك طبيعة طفلية ، والى جانبها شخصيّة خاصّة به .

وقد عرفنا في مقدمة هذه الأطروحة أن القرن التاسع عشر قد شهد ولادة الأدب الحقيقي الموجّه للأطفال .. الذى اعتمد على التركيب الوصفي المتملك لأشرعة توصله الى قوة الخيال .. وأهم ما يتميّز به استشراف المشهد ، ووضعه في حيّز مكاني مناسب ..

ويلعب الخيال دورا هاما حين يضفي على الكلمات بعدا اضافيا . ومن هنا كان السياق السردي يحمل فقر أدوات الحكاية والحوار ..

كما يجب أن نبعد أنواع الخيال المخيفة والمفزعة عن أدب الطفولة حتى لا ينتج عنها قلق واضطراب في المفاهيم عند تمازج الخيال والحقيقة في قصص الأطفال ، لأن ذلك يشكّل رؤية مبهمة عند الطفل . ومن الواضح أن الخيال يكمن في طبيعة الخطاب الأولي للطفل ، والقول الفصل في هذا المجال لجمهور الأطفال وقدرته اللغوية .. ومدى استعداده للمشاركة .

ونحن مع القول أن الكاتب الناجح هو الذى يخلق ابداعا يتداخل فيه الحلم والواقع تداخلا تزال فيه كل الفواصل بحيث يصبح الحلم وكأنه واقع ، والواقع كأنه حلم عندما نتحدث عنه .

اذن .. هذه بعض النقاط الهامة التي نراها ، بالنسبة لكتاب قصص الأطفال في القطر العربي السوري ، والتي من خلالها يمكن أن يصبح الكتاب في بلدنا كتابا متميزين اذا ما اعتمدوا على مثل هذه النقاط الضرورية وتبعوا مراحل الطفولة ونموها ، ولجوا أعماقها .. وهذا ينقلنا الى المضامين في قصص الأطفال السورية .

تمازجت الأشكال الفنية ، كما رأينا بين القوة والضعف وهذا شيء طبيعي ، فالتجربة الفنية تعطينا شكلا فنيا لا يستهان به ، أما التجربة الضحلة فلا بد وأن تكون قاحلة كالصحراء ....

أما المضامين فقد لعبت هي الأخرى دورا ايجابيا حينا ، سلبيا حينا آخر ، في القصة الطفلية . فقد اعتمدت في

البدايات على الأسطورة(١) التي نمت في صدر الانسان البدائي ... وغرزت أظافرها في أعماقه ، فدفعته الى عبادة قوى خارجية عليا ، وجعلته يسترضي هذه القوى بوسائل متنوعة طلبا للمنفعة ودفعا للأذى والخطر ، ومن الملفت للانتباه حقا أننا لا نكاد نطلع على أدب أمة ما ، الا ونجدها قد ابتدعت الأساطير على لسان الحيوان ، كما ابتدعت الحكايا الشعبية الخرافية التي تتشابه تشابها كبيرا في هذه القصص والأساطير رغم اختلاف طبيعة هذه

١- الحيوان في قصص الاطفال - الفصل الثالث ص٢٩
تأليف عربي الماصي

الأمم ، وطريقة تفكيرها ، وتنوع أساليب أدبها وتميزه ، حقيقة واقعة لا محالة .

وما دمنا نتحدث عن الأسطورة . فلا بأس أن ننوه بأنها مجهولة المؤلف والأصل ، غامضة التاريخ والمكان .. وربما كان الانسان البدائي الأول هو مبدعها ، وهي أقدم صورة أنطقت الحيوان وأنسنته من أجل الهدف الأسمى .

ومما لا شك فيه ان الأسطورة تحتم رمزا له معنى عميق ومدلول فكري ... وهي تدور حول الآلهة المتعددة ، والاحداث الخارقة ، وهي أقدم وثيقة أدبية أدخلتنا في عقلية الانسان البدائي ، ونفسيته المضطربة .. ونظرا لما لهذه الأساطير من تأثير في النفوس فقد أفاض القرآن الكريم في استخدامه للحيوان والجماد فأنطقهما ، وقد أظهرت(١) الدراسات النفسية والعلمية والتربوية ان الاطفال قادرون على تقمص شخصية الحيوان أكثر من تقمص شخصية الانسان .

فكانت النسبة العالية من القصص التي يهواها

١- الحيوان في قصص الاطفال - عربي العاصي ص١٠٨

الطفل ويقبل عليها بشغف ، هي تلك القصص التي يلعب فيها الحيوان دورا بطوليا ، وهذا راجع الى تفاعل الطفل مع الحدث الذي يلامس قلبه ، ويداعب خياله ... ومن الواضح ان القصص التي تستخدم فيها بطاقات صور الحيوان بشكل ملحوظ ، تساعد على فهم القصة أكثر من غيرها ... ومن الضروري أن تكون اللغة مفهومة وسهلة .

فالطفل لا يملك الا عددا محدودا من الألفاظ والتراكيب ... وقد بات واضحا أن تقديم الكاتب شخصية من النموذج المثالي الذي لا يعتريه أي نقص يغاير الواقع ، فمن الضروري التحول نحو البطل الثنائي أو البطولة الجماعية على رأي ((أليف كاسيل)) .

أما ما يتعلق (بلغة الحيوان) اذا جازت التسمية ، فهي ليست اكتشافا جديدا وانما هي اتجاه متجذر في الماضي السحيق ، و الذي يتعدى القرن الثاني الهجري . وبدايات الثالث ، وذلك عندما قام ابن المقفع بترجمة ((كليلة ودمنة)) .

والسؤال الذى يطالعنا ، ويطالبنا باجابته هل من الضرورى استخدام شخصية الحيوان في

قصص الأطفال ... ؟؟ لا نستطيع أن نقول نعم أو لا ، بل يرتبط الايجاب والسلب باستخدام الكاتب للرمز الحيواني ، فاذا وفق قلنا ، نعم والا فلا ... !! ولا يمكن أن نلغي الحيوان من أدب الأطفال ولكننا نرى أنه لا بد من الابتعاد عن الاغراق في استخدام معادلة البناء الفني المتمثلة في حوار حيوان مع حيوان ولهذا نقول : انه من الممكن أن نعتمد على الحيوان بقدر ملحوظ ، على أن لا تطغى الصورة الحيوانية ، دائما على القصة ... وأن يشارك عنصر بشري في عملية البناء الفني ، فيصبح الحوار الدائر ، بين حيوان وانسان ... لتنفتح أمامنا آفاق جديدة ، وبذلك نكون قد ارتكزنا على أرضية اكثر وضوحا ، فالمشاركة البشرية تضعنا أمام مؤشرات جديدة لاكتشاف الرمز وتسهل عملية الفهم ، وتقوي طرق الاتصال كما حدث في (كليلة ودمنة) .

وهذا ما يحتم ضرورة التعامل مع الطبيعة البشرية والحيوانية لتبرز بذلك الطبائع البشرية بجوانبها الايجابية والسلبية ، ولا يجوز أن نخلط بين الطبيعتين حتى لا تختل المعادلة الفنية للقصة .

وهذا يعني تزاوج الخيال و الواقع كما فعلت رجاء الأرناؤوط في قصتها (النحلة) .

وقد اعتمدت قصص الأطفال في مضمونها أيضا على البطولة والتضحية والفداء ، والتي تمحورت أساسا في القضية المركزية ... فلسطين ..

ويتفاوت هذا التناول من كاتب الى آخر ، الا أن جلّهم قد اتخذ التهويل والبطولات الخارقة سبيلا معتقدا أن ذلك ينمّي مدارك الطفل ، فيتمثّل الوطن بكل أبعاده ويتجسّد في أمته التي لا بد وأن تدحر العدو طال الزمن أم قصر ، ولكن من وجهة نظرنا نرى أن المبالغة المفرطة ، والتهويل والاستهانة بامكانيات العدو وقدراته وعدم الاعتقاد بأن الوحدة العربية في ظل الأوضاع الراهنة ، هي الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ، ما هي الا أمور سلبية ترسم آلاف الأسئلة و علامات التعجب في ذهن الطفل ، فهو اذا أدرك فيما بعد أن العدو قد احتل فلسطين منذ عام 1948 ، واحتل أجزاء أخرى من الوطن العربي ، وما زال يجثم فوق صدورنا ، فلا بدّ بأن مردود مثل هذه القصص سيكون سلبيا .. لذا يتوجّب على كتّاب قصص الأطفال أن ينزلوا به الى حقل الواقع ، وأن يلمحوا الى الملابسات التي تكتنف القضيّة

الفلسطينيّة ، والهجمة التي تستهدف هذا الوطن من الماء الى الماء .. والاشارة الى أن الوحدة العربيّة وحرب التحرير الشعبيّة هي الطريق الحقيقي الى فلسطين .. فنحن لا نريد أن تردد أجيال الغد : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ...؟ بل نريدهم أن يعوا حقيقة الواقع ، وأن يتفهّموا كلّ ما يدور حولهم، وما يهددهم في مستقبلهم،

ان الحديث عن النضال أمر ضرورى وواجب، وشحذ الهمم ، وربط الطفل بوطنه وأمّته من البديهيّات التي لا نقاش فيها ... ولكن من الملح أن ندخل ذلك في نفسيّة الطفل بطريقة غير مباشرة، ووعي وهدوء .. ومن الضرورى أن نعالج مثل هذه المواضيع دون ضجّة أو ضوضاء .

لقد عالجت نخبة من الأدباء هذه القضيّة بعد انطلاقة الثورة الفلسطينيّة عبر محاور ثلاثة:

التراث ، والواقع الاجتماعي ، والصراع .

- ففي التراث اعتمدت على نوافذ التاريخ المشرقة للأمة ، والشخصيات البارزة التي أعطت عطاء كبيرا ، وقلّما ارتكزت على الكوّات المظلمة ، وهذا راجع الى تعاملها مع التحريض الذى لا بدّ منه في هذه الفترة الحرجة، وكانت تلك النخبة تحاول ربط

الماضي المشرق بالحاضر الذي يعبّر عنه الثوّار الفلسطينيون في تاريخنا المعاصر فاستنهضوا الهمم في قصصهم ووظّفوا شخصية صلاح الدين الأيوبي توظيفا جيدا لارتباط هذه الشخصية بتحرير بيت المقدس من أيدى الصليبيين ..!

فالأحداث التاريخيّة ليست دورة تعيد نفسها ، وانما هي تطور تلعب فيه الثورات الدور الأساسي . والتراث كما نعلم نبع متدفّق وأنهار لا تجف .. وهو من أوسع مجالات الابداع الفني بكافة أنواعه ومضامينه . أما الواقع الاجتماعي فهو الآخر معين لا ينضب ، وقد تعامل معه الكتّاب في الماضي تعاملا يبرز حالة التشرّد والضياع ، مجسّدين في تلك المخيّمات التي يقطنها أهلنا ، عرب فلسطين في المنافي ... إلاّ أن هذه المخيّمات التي كانت فيما مضى رمزا للبؤس والشقاء في معظم القصص المكتوبة للصغار والكبار على حد سواء ، تحوّلت بعد انطلاقة الثورة الفلسطينية ، الى منطلق لثوّار التحرير ، وبارقة أمل لاسترجاع الأرض المغتصبة . وباختصار فقد تحوّل الواقع الاجتماعي المتمثّل بكل ما في البؤس واليأس من معنى الى رمز تخطّى كل معالم الزمن القاسي ، وأصبح مضرب المثل في العطاء السخيّ ، والبطولات الخارقة ، وتحويل مسار الزمان والمكان والفعل .

أما في المحور الثالث فقد لعب الصراع الحضارى

بين العرب والصهاينة دورا فاعلا . ووظفه الكتاب توظيفا يتناسب والواقع المعاش الى حد كبير ... كما وظفوا الثورة ضد أعدائها .

لقد تضمن هذا المحور السياسة وواقع الانسان المصري في وطنه الكبير . وعلى الخصوص ، في أرضه المحتلة ، فصورته مصارعا لقوات الاحتلال ، موضحا للمعالم توسع وعنصرية رأس حربة العدوان - اسرائيل -

ولا تقل المواضيع الاجتماعية التي وردت في قصص الأطفال . مبالغة عن سابقتها - وهذا يقودنا الى القول :

ان معالجة المواضيع الاجتماعية تحتاج الى الرزانة والمنطق والدراية الواسعة . كما تحتاج الى الابتعاد عن الرمز الموغل والاكتفاء بشفافية الرمز عند الضرورة .

ولا يخفى علينا ، أن المواضيع الاجتماعية سواء أكانت سلبا أم ايجابا بحاجة الى الوضوح ، والى لغة سهلة - يستوعبها الطفل حتى تأتي أكلها ، ويشترط أن تكون بعيدة عن الوعظ والإرشاد والخطب الرنانة - إلا ما ندر - والتي من شأنها أن تخلق الملل في نفسية الطفل . ثمة مواضيع أخرى

تناولتها قصص الأطفال في سورية أذكر منها تلك القصص العلمية التي تفرّد بها طالب عمران ، فرغم الخيال المجنح ، ورغم الاعتماد على بعض المسلسلات الأجنبية ، وفي أيّما توفيق ، واستطاع أن يدخل الى عالم الطفولة بأسلوبه الجذّاب ، ولغته السهلة فأضاف بذلك حقائق علمية مبسطة الى معلومات الطفل .

ونخلص الى : ان " القصة الطفلية في سورية ، لم تنضج النضج الكافي - فما زالت تخطو حينا ، وتتعثر حينا آخر ، راسمة شكلا حلزونيا متشابكا ، يشكل في كثير من الأحيان أخطبوطا ثقيلا .

وفي اعتقادي ان أسباب ذلك تعود الى : هامشية الرؤية ، وسطحية المعايشة لعالم الطفولة ، وتطفل بعض الكتاب اسرواج هذا النوع من القصص ، الأمر الذي حدا بهم - وقد طفوا على السطح لوضع ما - أن يحاصروا الكتّاب المقتدرين ، ويضعوهم ضمن دائرة مغلقة قلما ترى النور .. مما جعلنا نلح على وجوب دراسة جديدة مبرمجة ، تأخذ بعين الاعتبار : معطيات الواقع الذي يعيشه هذا

النوع من الأدب ، وكيفية توظيف الرموز الحيوانية ، أو الطبيعية والانسانية معا ، توظيفا سليما لا يتنافى والواقع حتى لا يحدث الخلط في ذهن الطفل ويصبح غير قادر على التمييز بين ما هو واقع وما هو خيال .

وما أحوجنا اليوم الى كتّاب ملتزمين برسالة الكلمة وشفافية الرمز ، وواقعية المضمون بعيدين عن الغموض وهيمنة الروح التجارية ، تماما ، كحاجتنا الى حرية التعبير ومصداقية الفعل .. !!

ومن هذا المنطلق لا بد وأن يعي الكتّاب الذين يكتبون للأطفال بأن هذا الأدب ليس أدبا ترفيهيا بل ينبغي أن يكوّن الطفل فكريا وعاطفيا واجتماعيا .. وأن يساعده على تخطي ما يعترض سبيله من عقبات في المستقبل ، ولا يمكن أن يقوم أدب الأطفال بدوره الفاعل إلا اذا حصل التكامل بين تأثيره الشعوري واللاشعوري .

ولا بد من أن يتلاءم والقيم التي نريد غرسها في الطفل .. فهذه القيم اذا كانت تقليدية ، يجب المحافظة عليها لا لكونها قديمة ، بل لأنها في صلب شخصيته ، وبنائه النفسي والاجتماعي . واذا

كانت هذه القيم عصرية فرفضها لا يعني لكونها جاءت من حضارة غير حضارته، ولكنها تتنافى وواقعه .

ولا بد من حماية أدب الأطفال من المؤثرات السلبية التي تتضارب والقيم التي نريد غرسها في الأجيال الصاعدة . ومن المفيد أن نعيد النظر فيما كتب ، ونغربله على ضوء القيم المدروسة التي نصبو لزرعها في نفسية الطفل ، وأن نحرص على أن تكتسب اللغة قوة التعبير والدقة ، فليس من السهل الكتابة للأطفال اذ ينبغي مراعاة الجانب الأدبي والنفسي . ولا ننسى أن الاعتناء بجانب الاخراج ينمي الاحساس الجمالي لدى الطفل .

وكلنا يعلم أن أدب الطفولة ذو حدين ، فربما رسمت في داخله دوائر لعوالم ساحرة ، وقد ترسم نجوما ميتة. . . . واذا ما أردنا اكتشاف أدب الأطفال ، لابد وأن يجتمع لهذا الشأن مجموعة متكاملة يشترك فيها الكتاب والمربون وأصحاب المكتبات ،والنقاد وغيرهم ممن يهتمون بالكتب الموجهة الى الأطفال ، فهم لن يحاربوا الوسائل السمعية البصرية بل ليرفعوا من شأنها دون أن يحط

من قدر الكتاب . فالقصة ليست درسا يلتمس ، ولا موعظة تقدم على طبق فضي للطفل بل هي مساعدة له ليفهم نفسه بشكل أفضل ، ويفهم الآخرين فهو اذن بحاجة الى الرؤية الواضحة لكل ما يحيط به وما يشعر به .

وبذلك يمكن للطفل ان ينتقل من وجود(1) تبعي متأزم ومشحون برغبات طفولية الى وجود مستقل أكثر ارضاء وملاءمة)) كما تقول ليلى صايا سالم .

وتستشهد الكاتبة ليلى صايا سالم بقصة عبد الله عبد الشكولا فتقول :

ان قصة من أجل الشكولا لعبد الله عبد(2) من القصص القليلة الناجحة التي تمس بالصراعات الداخلية وتحرر الطفل من ضغطها وتوجه طاقاتها إذ يعتمد بناء القصة على الحلم، بل ان القصة أشبه بحلم يقظة تنطلق فيه النزاعات المكبوتة وتتحقق مطيحة بكل العوائق)) . ففي القصة ((يموت الأب صانع الشكولا ، بل يموت كل أهل المدينة ويبقى الابن (البطل) الحي الوحيد يفعل ما يشاء ويحقق امنياته ولكن الحياة تصبح موحشة في

1- أدب الاطفال بين الوعي والخيال - مجلة الموقف الأدبي العددان ١٥٩ - ١٦٠ عام ١٩٨٤ ص ١١٨ - ليلى صايا سالم

٢- المرجع نفسه

المدينة ويفتقد البطل الدفء الانساني ، ومحبة الأهل والناس ، ويفرح حين يكتشف ان ما حدث هو مجرد حلم . وعندئذ ((يتعلق بعنق أبيه بحرارة ويقبله مرة ومرة أخرى)).(1)

اذن لا بد وأن يعالج كتابنا مثل هذا الصراع المحتدم في نفسية الطفل ، وأن يعالجوا الخير والشر لأنهما موجودان ما دام الانسان يعيش على هذه الأرض . لتقدم القصص بذلك مناخا صحيحا للتلاؤم والتآلف ، ولتساعده على تجاوز رغباته وتمحوره حول ذاته ، ليصير بعدها الى مستقبله وهو قادر على اقامة العلاقات السوية مع الآخرين بعد أن يشكل وجودا مستقلا .

و ((ان ازدواجية الخير والشر في الواقع وفي النزعات الانسانية تحتم على الكاتب أن يعكسها في قصصه وان يسهل على الطفل اختيار وتمثل المواقف والاتجاهات التي تدفع بشخصيته نحو النضج ، وتساعده في الوقت نفسه على اقامة علاقات مرضية ملائمة وايجابية (2)

1- ادب الاطفال بين الرؤى والخيال : مجلة الموقف الادبي - العددان: 159 - 160

2- ليلى صايا سالم ، أدب الاطفال بين الرؤى والخيال - الموقف الادبي السورية - العددان 159 - 160 عام 1984 - الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

ـع المحيط .))

وتضيف الكاتبة ((ليلى صابا سالم قائلة :

((هذه الحقيقة لا تتوفرها (١) قصص الأطفال الحديثة بينما نجدها في بعض القصص والحكايات الشعبية في تراثنا المروي والمكتوب .))

وما ان يأخذ الكاتب بعين الاعتبار تلك النقاط الهامة التي ابتغاها حتى يصبح أدب الأطفال مثيرا لاهتمام القراء، واستطاعة كاتب القصة الطفلية ادخال بعد الحياة والزمن الواقعي في البنية المتجددة زمنيا للقصص حيث يمكن لحاضر الكتابة الكلام عن الماضي كما أشرنا في القصة الطفلية في سورية ومقارنتها بمثيلاتها في الوطن العربي والعالم - واستشفاف المستقبل في خاتمة قصيرة .. وهذا يجعلنا نؤكد مرة أخرى على أن للحلم حصته ، لكنه لا يستبعد حصة الواقع ، فواقع الحياة عامة كالواقع التاريخي والانساني الوطني .

ومن الواضح ان من واجب كتابنا أن يحدثوا الطفل عن نفسه وأحلامه ومخاوفه ورغباته وحاجته لأن يكون محبوبا ومعترفا به ، وأن نخرجه من تجربته الكبيرة ، فقد لبيت الأسرة

---

(١) ليلى صابا سالم : ادب الاطفال بين الوعي والخيال
مجلة الموقف الادبي : العددان ١٥٩ + ١٦٠ عام ١٩٨٤

العربية دورا سيئا في هذا المجال ، كما أكملت المدرسية هذا الدور ... وفي اعتقادي ان هذه النقاط هامة وجوهرية بل هي الخيط الفاصل بين كتابنا للاطفال وكتاب الدول المتقدمة . ولا بأس أن نتذكر هنا ما قالته آن ماري جوليفيه في نقلها تقص آنا ماريا ماتيوت الاسبانية :

((هذه القصص القصيرة وتلك الروايات تعطي عنصر[1] محتوى مأساوي ذي بنية بسيطة وواضحة جدا لانفعالات يستطيع الطفل الاسباني وجميع أطفال العالم ، تعلم حسن ادراكها بخبرة السيطرة عليها بشكل أفضل . انها مثل حكايات كرنفالية تسادرة على مثل . القلب بالأمل . وبتعابير أخرى ألهمت تلك في (هدية الحب) التي كان يتحدث عنها لويس كارول ؟)) . هكذا يفهم كاتب القصة الطفلية كيف يكتب . أما نحن فكما يقول الدكتور عبد الرزاق جعفر عن كثيرين من كتاب القصة الطفلية في بلادنا :

((في اعتقادنا ان الجهل بأدب الطفولة يعزى[2] الى جهلنا بالطفولة ذاتها . ان مجتمعنا لسنوات خلت ، كان يجهل معنى الطفولة . كنا

---

1 — مسألة استيعاب الأعمال الفنيّة عند الأطفال — مجلة الموقف الأدبي العدد — 161 — عام 1984 .

2 — مجلة المعلّم العربي السورية — العدد الأول / 1985 / ص 77 — 78 .

نعد الطفل رجلا مصغرا . بل كنا نمنعه أن يتصرف تصرف الأطفال لاعتقادنا انه إذا سلك سلوك الراشدين أصبح راشدا)) وقد كتب الكثيرون للأطفال وهم يحملون هذه النفسية شعروا بها أم لم يشعروا ،فجاء أدبهم قاصرا نجد وبهذا يشوه نفسية الطفل ، لأننا حين نطالبه ((بتبني قيم الكبار ونرغمه فجائيا الى عالمنا نحرمه من مسيرته التدريجية في النمو وتحوله الى شخص كبير .)) (1)

والنتائج السلبية التي يمكن أن تترتب من جراء ذلك تكمن في انطواء الأطفال أو معظمهم على الأقل - على ذواتهم والانعزال عن مجتمع أقرانهم ومجتمع الكبار . كما يدفعهم الى العدوان والغرور والخوف ... وما الى ذلك من نقائض .

ولهذا نلح على أن يتجنب كتاب القصة الطفلية ذلك ، بدخولهم عالم الطفولة من أبوابه الواسعة .

ان نظرة الكاتب الساذجة للطفل تحوله الى كاتب .

1- مسألة استيعاب الأعمال الفنية عند الأطفال ((شربن مرزو)) . مجلة الموقف الادبي العدد ١٦١ عام ١٩٨٤

غير جاد ، وتخلق تباعدا كبيرا بينه وبين قرائه من الأطفال .

ومن العوامل الجوهرية التي لا بد وأن تؤخذ بعين الاعتبار معايشة الطفل في أجوائه ، واعتماد الأسلوب غير المباشر في الايصال ، واستعمال اللغة السهلة المنسجمة مع امكانياته ، وانتشاله من الغربة والتغريب نتيجة ما يقدّم له على الشاشة الصغيرة من مسلسلات أجنبية ، أو من المذياع ، دون أن نعزله عن الثقافات العالمية الأخرى . ومن الضروري ربط الطفل بقيمه التراثيّة والحضارية ، وخاصة اللغة وهذا لا يعني أن نحجب عنه ما يجري حوله في العالم من فنون ولغة وثقافة . بل نعني اذا ترجمنا أو اقتبسنا ما يصدر من تأليف للأطفال ونقلناه الى العربيّة ، أن نكون حذرين لا سيما اذا كانت هذه المؤلّفات ذات محتوى ثقافي متّصلة بحضارة خصوصية . والخطر يكمن هنا في تمجيد هذه الحضارة لدرجة أن يتجاوب معها الطفل ويتعلق بها ، فيستحسن حضارته ، وتنقطع الصلة العاطفيّة بينه وبين بيئته ، كأن نمجّد مثلا

- من خلال ترجمتنا لأدب أمريكي - العنف ازاء الهنود الحمر، أو التمييز العنصري ؛ و ((بقدر ما ينبغي أن نكون حريصين على التفتّح على ما يصدر في العالم، بقدر ما ينبغي أن نتحرّز، ونجنّب الطفل ما يمكن أن يضرّ آجلا بتكوين شخصيته)) (1).

فالانتقاء والغربلة شرطان ضروريّان قبل أن نقدم على الترجمة والاقتباس. وهذا ينطبق أيضا على التراث الذي هو معين لا ينضب، اذ لا يجوز أن نقدّم للطفل كل ما فيه ، بل يجب أن نحسن الاختيار والانتقاء.. فألف ليلة وليلة - مثلا - فيها مغالطات كثيرة، وتجن على المغربي الذي لا يوصف الا بالسحر والشعوذة.. ولا نريد لأطفالنا أن يأخذوا فكرة خاطئة عن أهلهم .

1- الكتابة للطفل في الوطن العربي - عبد المجيد عطيّة ، مجلة الموقف الأدبي : العددان (159 + 160) عام / 1984/ ، ص 99 .

وكما يقول الأستاذ عبد المجيد عطية (١) :

((فنشر قصة علاء الدين والمصباح كما وردت في ألف ليلة وليلة بين الأطفال مضر بتكوين الشخصية التي نريدها لهم فلا بد اذن من اعادة كتابتها حتى تخدم الأهداف التربوية الحالية المقامة على حب العمل وروح المبادرة والاعتماد على النفس)).

وفي هذا الصدد تلتقي الكاتبة ليلى صايا سالم مع الأستاذ عطية ، عندما تقول ((وفي تراثنا كثير من الحكايات تهمس الطفل (٢) كما تحاور عقل الراشد وتمزج بين الوعي و اللا وعي، بين الواقعي والخيالي . وتتناول مشكلات انسانية وطفلية مما يجعلها حكايات ناجحة في تحقيق النمو الداخلي للطفل والوصول به الى النضج والاتزان العاطفي ، وهي تنتظر من يهذبها

١- الكتابة للطفل في الوطن العربي - عبد المجيد عطية
مجلة الموقف الأدبي العددان ١٥٩ - ١٦٠ عام ١٩٨٤ ص ١٠١

٢- أدب الاطفال بين الوعي والخيال . ليلى صايا سالم
مجلة الموقف الادبي السورية . العددان ١٥٩ - ١٦٠
عام ١٩٨٤ . ص ١٢١

وينقي أجواءها ويستحيدها بأسلوب ولغة مناسبين للطفل .))

مما يؤكد ما ذهبنا اليه من وجوب حسن الاختيار والغربلة واعادة الصياغة . فلا يمكن أن ندخل الطفل في منحنيات ومتاهات لا يستطيع أن يخرج منها أو أن يستفيد منها في تنمية ذاته

وقد أكد الدكتور طيب تيزيني في محاضرته (أدب الأطفال والتراث)

((ان مسألة التراث(١) المطروحة تتحدد فيما يلي :

توليد القدرة على الابداع في شخصية الطفل . واستخدام المنهج العلمي الجدلي لبلوغ تلك الشخصية . وان بلوغ الهدف المطلوب يكمن في ثلاث أقنية . البساطة اللغوية . والدقة الفكرية والحماسة العاطفية)).

ولا شك بأن ذلك ينطبق على التراث بأنواعه . التراث الانساني من حكايات وأساطير وأمثلة شعبية . والجوانب الاجتماعية والسياسية . للبيئة المعاصرة . والتراث المحلي - والتاريخ وما جاء فيه من أخبار وحوادث .

---

(١) أدب الاطفال والتراث - في حلقة بحث لمنظمة طلائع البعث . عقدت في حماه تاريخ ١٧-٢٣/١٢/١٩٨٣

وهذا لم يهمل كتاب القصة الطفلية على تعريف الطفل على الظلم الذي تعرض له التراث العربي من قبل المؤرخين والمستشرقين الذين تغافلوا - متعمدين - المساهمة الفعالة التي قدمها العرب في تراث الانسانية الأدبي .

ولا يمكن ان ننقص أيضا من أهمية القصص المصورة التي تستهوى الطفل أكثر من غيرها . فقد شاعت قراءة مثل هذه القصص في جميع أنحاء العالم ، شاملة كل الطبقات ، وهذا النوع من القصص أول ما ظهر في بلاد ما بين النهرين التي كانت تمتد من شمال شرق سورية الى أواسط العراق حيث ظهرت أول قصة آشورية عام ٦٥٠ ق ٠ م والتي نحتت لتروى قصة محركة خاضها ملك الآشوريين بانيبال ، وهناك أمثلة أخرى نجدها على المسلات المصرية التي مازالت قائمة حتى الآن كشواهد حية .

ولم يتطور هذا الفن الا في العصور الوسطى ، وقد قلل من أهمية هذه القصص ابتداع الكتابة ((غير أن الأطفال مازال يستهويهم هذا الفن

---

١ - القصص المصورة - منيب حمدان - مجلة المرأة العربية العدد ٢٥٩

والمعتمد على تقسيم الأحداث ضمن رسومات مؤطرة متوالية ، ورسم الشخصيات كاريكاتوريا ، وتبسيط اللغة المستخدمة والمعتمدة على كلمات صوتية أي أن صوتها يحكي صوت الشيء الذي تصفه أو باللغة المحلية العامية المونسة)) .

ان القصة الطفلية في سورية .. من خلال ما اثبتناه في دراستنا التطبيقية - آخذه في النمو والتطور محاولة أن ترتقي الى المستوى المطلوب - رغم ما فيها - الآن - من قضبان كبي ، ومن شوائب وتطفل - اذ لا بد أن يأتي ذلك الوقت الذي يفتح فيه المجال لكل المبدعين على اختلاف مشاربهم ، ليضعوا القصة الطفلية في مكانها الملائم ، ويزرعوا فيها الحياة الطيبة بالحب ، والطمأنينة والدفء العاطفي ، ويغرسوا في قلبها القيم المرجوة ، لتستطيع هذه القصة بجدارة ، أن تنور عقلية الطفل ، وتخلق شخصيته المستقلة وتآلفه مع محيطه ، فهو مستقبل هذه الأمة .

٤٢٠٢٧١

والله الموفق

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxx

آ ـ المراجع الرئيسية

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر	العام
1	المرآة السحرية	عادل غضبان	مطبعة داغر لبنان	[illegible]
2	الهلال	عادل غضبان	دار المعارف القاهرة	1976
3	الثعلب المحتال	عبد المجيد زراقط	مجلة سامر ـ العدد 164 دمشق	1/18 1982
4	أحزان الغزال الأشهب	أيوب منصور	وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق	1979
5	نجمة الصبح	أيوب منصور	وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق	1976
6	أحلام الصياد الكسول	وليد معماري	وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق	1980
7	معطف الاختفاء	عادل أبو شنب	وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق	1976
8	ميمون هاويا	عادل أبو شنب	مجلة سامر ـ العدد 164 دمشق	1/18 1982
9	عطاء السنابل	اسكندر نعمة	وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق	1980
10	أحلام الصغار	عزيز نصار	اتحاد الكتّاب العرب دمشق	1983
11	حكايات شجرة التوت	وفيق خنسة	وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق	1979
12	هدية عيد الأم	مراد السباعي	اتحاد الكتّاب العرب دمشق	1978
13	العصافير لا تحب الزجاج	لينا كيلاني	اتحاد الكتاب العرب دمشق	1979
14	رحلة حمار يدعى غندور	ليلى صايا سالم	وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق	1981
15	الأفعى والراعي	نظمية أكراد	اتحاد الكتاب العرب دمشق	1982
16	الخروفان	رجاء الأرناؤوط	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر	1982
17	النحلة	رجاء الأرناؤوط	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر	1982
18	صوت من القاع	طالب عمران	وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق	1979

ب ـ المراجع الاضافيّة

اسم المرجع	المؤلّف	الناشر	العدد	التاريخ
أدب الأطفال والفتيان في العالم	مجموعة مؤلفين ترجمة نادر ذكرى	دار الحوار/اللاذقية/ سورية		
الحيوان في قصص الأطفال	عربي العاصي	المطبعة التعاونية بدمشق		1981
مشكلات قصص الأطفال السورية	سمر روحي الفيصل	اتحاد الكتاب العرب في دمشق		1981
أدب الأطفال نظريا وتطبيقيا	عبد الله أبو هيف	اتحاد الكتّاب العرب في دمشق		1983
ملف المعرفة (أدب الأطفال)	عبد الله أبو هيف	وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق		
علم نفس الطفولة والمراهقة	د . مالك سليمان مخول	مطابع مؤسسة الوحدة		1980 / 1981
مرجع في علم النفس	د . مصطفى فهمي	دار الثقافة في القاهرة		
المعلم العربي (مجلة)	مجدل علي	وزارة التربية السورية في دمشق (ص/ 126 /	5 /	1983
مجلة الموقف الأدبي	ليلى صايا سالم وعبد المجيد عطية	اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق	159 / 160	984
مجلة الموقف الأدبي	شيرين ميرزو	اتحاد الكتاب العرب في دمشق	1961	84
مجلة المرأة العربية (السورية)	د . طيب تيزيني	الاتحاد العام النسائي في دمشق		84
مجلة المرأة العربية (السورية)	منيف حمدان	الاتحاد العام النسائي في دمشق	259	84
صحيفة المساء الجزائرية (ص8)	زكريا تامر	الشركة الوطنية، الشعب، الصحافة. في الجزائر.		23 86
صحيفة المساء الجزائرية (ص8)	زكريا تامر	الشركة الوطنية، الشعب، الصحافة. في الجزائر.		/3 6

الفهرس